مجد القلعة

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٩

الكتاب : مجد القلعة

الكاتب : مجموعة ادباء

تدقيق لغوي : مكتب سكون لخدمات الكتب

تصميم الغلاف : عماد رشدي

رقم ايداع: 25001

ترقيم دولي: 978-977-6688-11-7

دار سنون للنشر والتوزيع

الزقازيق - الشرقية - مصر

٠١٠١١٤٦٤٠٣٧

sonon.pub@gmail.com

مجد القلعة

اكثر من كاتب

عماد رشدي

مجد القلعة

ساحة الصحراء فسيحة، صفراء تنعم فيها الرمال التي تشتاق لحوافر الخيول. يقف زينكس في مقدمة الجيش، ويقف بجانبه جندي يحمل علم ألياس وهي العاصمة التي توج بملكها زينكس خلفًا للوالد.
العلم أسود قاتم حدادًا على والد زينكس الذي توفي من مرض السيند. مرض صارم وعجز الأطباء عن وجود دواء لهُ، ولا يكف عن نهش المُصاب بهِ. . تفاقم وبسببه تآكل جسده واضطر الابن أن يقطع بضربة من سيفه عنق والده حتَّى يقضي على العذاب الذي لم يتحمله أقوى قائد جلس فوق كرسي العرش في القارة. كما أن حدود العلم صفراء وهو اللون الذي تمتاز بهِ المدينة، وفي النصف فارس باللون الأبيض يركب حصانه ويلوح بسيفه.
الشمس تضرب صحراء رأس زينكس. نظره ثاقب لا يرى إلا مقدمة جيش فينوس. وحِصانه يركل الرمال متحفزًا لأي لكزة تطلب منه العدو.
صفَّ الجيش على الجهة الجنوبية، الخيالة يحاوطون الجيش، بينما أصحاب الدروع تلتف حول زينكس في الأمام، وبالخلف الرُماة في وضع الاستعداد. والمشاة في العمق والأطراف. جيش زينكس يتفوق عددًا وعتادًا على جيش فينوس، الضعف ثلاث مرات في عدد الجنود. يبلغ عدد جيش زينكس قرابة الـتسعين ألف جندي، وعشرين ألف حِصان براكبيهم. كان الجيشان على امتداد البصر. في صحراء نورمالي على حدود قارة مازيت. الصحراء تفصل بين قلعتي زينكس وفينوس وتمتاز بحشائش صفراء سريعة الاشتعال. . وهي المكان الذي أصر عليه فينوس للقاء. إصرار غريب تحفه رائحة المخاطرة، رغم ذلك وافق المتعجرف زينكس وقال في مجلسه وأمام مستشاريه الذين عقبوا باحتمالية وجود فخاخ:

-لا يتحتم على جيش زينكس أن يمكث أكثر من هذا وسيوف جنوده لا تزحف عليها الدماء-.

في ربيع الحرب وقف جيش فينوس بلا حراك. . لا وجود لاستعداد مِن قبل الرُماة خاصتهم، والرياح تضرب هدوء وقوفهم. وهدوء فينوس يثير زينكس أكثر وأكثر. .

الفائز في الحرب سينهب، ويسرق، ويأسر العبيد ويستأثر عيدان وأفخاذ جواري مدينة ألياس الذي يحكمها زينكس، أو جمال ورشاقة نساء الأشراف في مدينة سيلابل، وبالطبع ستكون منطقة سومايسل -التي قامت على فحواها الحرب- ضمن حدود الفائز في المعركة، وللخاسر بئس المصير.

بدأت عين زينكس تمتلأ بحمرة الغيظ، ويده تزحف ناحية السيف، تراجع وشاور لأحد القادة وقال لهم:

- الآن. .

- حسنًا لكن أحد جواسيسنا قال ألا نتعدى مائة وخمسين مترا من وقوفنا لوجود فخاخ. . فحاول أن لا تتعدى المسافة يا سيدي. .

نظر زينكس بعينيه الذي جعلها مقاسًا على الأفخاخ المتاورية.

وقبل أن يرفع زينكس سيفه وجد رمحا واحدا مطعم بالنيران يقذف عليهم، فضحك بشده وأشار بيده أن يعيدها. وقع الرمح على العشب سريع الاشتعال فأوقد النار فيه وفي جيشه الذي هاج وهاجم دون أخذ إشارة من زينكس، انطلق الجيش إلى الأمام ليس بدافع المواجهة ولكن بدافع الهروب من النيران التي اضطرمت في الحشائش، وزعقات زينكس تتوالى ألا يذهب الفئران إلى الفخ.

لكن قد فات الأوان. .

وقف زينكس مدقق النظر وينتظر اللحظة التي سيقع فيها جيشه في الفخ، كانت ملامح وجهه تتأثر وتتغيِّر كلما اقترب الجيش من الفخ. وفجأة وقع الفرسان والجنود في جسر عميق وسط المسافة بين الجيشين فخسر ربع جيشه، وأجبر على التراجع فلحق جزء من جيشه بعيدًا عن النار ووقف ينتظر جيش فينوس الذي بدأ في الهجوم.

مرَّ القتال على مراحل. . أولها ما حدث، ثم شق جنود جيش فينوس وهم يحملون عوارض خشبية وضعوها على الجسر ليعبر عليها جيش فينوس الذي أشهر سيفه وقال:

-ليكن النصر حليف الفهود-

فرفع الجنود علم سيلابل. وانطلقوا كالفهود كعلامة الفهد الذي يعدو على العلم.

على الجانب الآخر وقف زينكس منتظرًا جيش فينوس أن يقترب أكثر من هذا وعندما بلغوا الفخ الذي صنعوه حرك رأسه لأحد القادة الذين وجهوا رمح في السماء يحمل إشارة ما. فما لبث أن شاهدها فينوس حتَّى سمع صوت أرجل خيول كثيرة تأتي من الخلف وتنثر الغبار فعرف أن فخه قوبل بآخر. تمت إحاطته من الخلف والأمام وجيشه في المنتصف، لم يرَ إلا أن يتوجَّه إلى الجانب الأيمن أو الأيسر، فاتجه وقاد جيشه ناحية التلة في اليمين، وشاهد مؤخرة جيشه وهي تقهر بواسطة فرسان زينكس.

استعاد قوته عند التلة ووقف يفكر في الضربة القاضية وضحك بخبث وهو يقول:

-بربك يا زينكس ما هذا التخاطر. . -

وأشار أن يبدأ الهجوم بالخطة البديلة، فهجم على مؤخرة جيش زينكس

فرسان اخترقوا الجيش وقطعوا عنق الكثيرين وهم في اتجاههم ليقفوا بجوار جيشهم.
الرد جاء وسريعًا ومن الواجب أن تكون هناك قاضية، فجأة وجد زينكس حالة هرج في منتصف جيشه، ودماء وأعناق تتطاير في الهواء، فصعق وأراد فهم مجرايات ما يحدث، فزعق فيهم وهو يقول:
-اقتلوهم-
في تلك اللحظة أمر فينوس كُلَّ الجيش أن يخلعوا ملابسهم التي كانت تستر ملابس تشبه بالضبط ملابس جيش زينكس، وأمرهم أن يخترقوا مقدمة جيش زينكس.
كان جيش فينوس يرتدي سترته العادية، وتضمنت خطتهم أن تكون ملابس جيش زينكس تحت عباءتهم ليشقوا صفوف جيش زينكس ببذلتهم إلا اختلاف طفيف وهو وجود شارة لا يعرف سرها إلا جنود فينوس ليفرقوا بين أخوتهم وأعدائهم.
انطلق جيش فينوس جميهم واخترقوا مقدمة جيش زينكس الذي ضحك ضحكة خاسر تمتلأ عينيه بدماء جنوده الذين بدأو في ذبح بعضهم البعض لعدم وعيهم بالشارة. إلى أن سقط من سقط وهرب من هرب ووقع زينكس في قبضة فينوس الذي ظهر له بملابس جيش زينكس وهو يقول:
-تحملت ملابسكم رغم ضيقها-.

****

نهى الغندور

والتقينا مجددا

استيقظت منى في تمام الساعة السادسة صباحا، بدأت تفتح عينيها برقة طفل لا يتعدى عمره شهرين، وصاحب ذلك ابتسامة خفيفة على وجهها لتكشف عن غمازتها اليمنى، وبدأت تتحسس صدرها الذي تزينه قلادة ذهبية تحمل أول حروف الأبجدية الإنجليزية. كان أول أيام إجازتها بعد شهر مرهق من الإعداد لحملة إعلانية جديدة في الشركة التي تعمل بها، ثم انقلبت بخفة للجانب الأيسر وانسابت خصلات شعرها الشديد السواد، لتجد أدهم بجوارها على فراشهما السرمدي. . بدأت تتحسس وجهه بيديها وطبعت قبلة حارة وهادئة نوعا ما على وجنته اليسرى والتي تكسوها لحيته تلك التي جذبتها منذ أول يوم التقيا، كانت قبلتها مليئة بشوق عمر كامل، ثم قبلت عينيه. . سرحت قليلا في وجهه وتذكرت لقاءهما الأول منذ أكثر من خمسة عشر عاما وانقلبت مرة أخرى إلى الجهة اليمنى لتفتح درج الكومود المقابل لها وتخرج منه مفكرة يبدو أنها قديمة نوعا ما وفتحت صفحة عنوانها -عيناه متاهة- وبدأت تقرا قراءة بصرية حتى لا توقظه:

عيناه متاهة. . واسعتان. . لونهما بني، يميل إلى العسلي أحيانا، يأخذونك في رحلة عبر عالم آخر، ربما إذا بدأت الرحلة لا تعلم متى ستعود، ستظل تبحر بهما بدون شراعين حتى تغرق، ذاك السحر الأخاذ الذي لا تعلم له بداية من نهاية، بدأ حديثه بنظرة وصمت ثم تكلم فعشقت الصوت الصوت الذي تسرب إلى أذنيها تدريجيا.

همس بكلماته الحانية ذهبت روحها إليه ظلت تبحث في ثنايا عينيه عن حكاية ربما تشبهها تمنت لو لحظات يتوقف الزمن وتصير ملكه أو يصير ملكها تمنت لو لم تكن ف حياته امرأة أخرى تمنت أن تكون الأولى والأخيرة

ولكن لسوء حظها ربما أو لهول القدر متزوج هو.
من عاداتها ألا ترغب في أن تمتلك ما ليس لها لكنها صارت حاقدة أو ناقمة على تلك المرآة التي تتوسد صدره ليلا ونهارا.
كيف لمرأة أخرى تغفو على كتفه وتشاركه لحظات السهر والسهاد كيف لمرأة أخرى يحق لها أن تلمس كل أجزاء جسده بلا حرج ولا كلفة ويمتزجان في لحظة توحدية. . . حتى لو كانت زوجته هذا ليس مبررا كافيا في عقيدة عشقها له.
هي تشعر بأن هذه المساحة خلقت خصيصا لها ولا يحق لأي مخلوق آخر أن يتقاسمها معها.
لا تؤمن بالحب من أول نظرة ولكنها أحبته رغما عنها. . حقا كما كان يقال في الحب لا لوم ولا عقل.
تلك اللحظة التي تحب شخصا ويمتلكك دون أن تحسب الحسابات التقليدية.
من هو مرتبط أم لا؟
من عائلته؟
ماذا يعمل؟
كم عمره؟
تلك الأسئلة التي تخضع لمنطق العقل ولا يمكن أن تكون جزءا من منطق العاطفة فالعاطفة لها منطق خاص وقانون مختلف.
قلبت الصفحات قليلا لتفتحتها على عنوان -هو فقط-.
ما يميز وجهه غمازتين ربما غمازته اليمنى تبرز نوعا ما عن غمازته اليسري وكلتاهما تكسوهما لحيته السوداء التي تتخللها بعض الشعيرات البيضاء

الخفيفة معلنة عن اقترابه من عقده الرابع والتي لا يلحظها سوى من أدمن النظر إليه.
خفيفة شعيرات رأسه هو ليس بصلع بمفهومه التقليدي ولكن ربما بداية جديدة تحمل خبرات رجل ناضج.
أول مرة تدرك حقيقة أن الصلع من علامات الجاذبية.
تميزه أيضا تلك الحسنات السوداء. . لمحتها تتناثر حول عنقه. . اثنتان واضحتان وبارزتان قليلا واثنتان تدركهما عندما تمعن النظر للحظات وتكسو إحدى الحسنيتن البارزتين باقي شعيرات لحيته التي غطت تماما تفاحة آدم البارزة قليلا في منتصف عنقه ليكتمل النموذج كأيقونة جمال.
غالبا لا يقاس الرجل بجمال شكله أو هكذا نشأت السيدات منذ قديم الأزل على تلك العادة الموروثة أن الرجل تميزه شخصيته وأحيانا نجاحه أو نقوده لكن في قانونها كانت تراه يوسفها وهي امرأة العزيز.
خافت قليلا من تصارع نفسها اللوامة مع الأمارة بالسوء خافت أن تلقاه بمفردها.
هي التي كانت تعلم جيدا كيف تكون أكثر ملائكية وطوال عمرها لم تصل لمرحلة بهيمية ولكن اليوم. . تخشى الوقوع في الهاوية التي تخطو إليها بثبات.
قلبت الصفحات سريعا لتصل لمنتصف المفكرة ومرت ببصرها على عنوان -قرار حاسم وبعد- ثم سرحت قليلا.
تذكرت يوم أن قررت أن تختفي من حياته وسافرت خارج البلاد لإكمال دراستها لتنسى حبا أرادت أن تقتله قبل أن يولد وأغاني فيروز التي صاحبتها في غربتها خصوصا أغنية (اهواك بلا امل)

وانهت قرائتها بآخر صفحة والتي كانت تحمل عنوان -والتقينا مجددا-. تذكرت عودتها بعد خمسة أعوام لتجده في انتظارها وقد انفصل عن زوجته ولم تكن منى سببا في ذلك لم يستطع أدهم أن يكمل حياته في زواج تقليدي كانت بدايته خاطئة ولم يتخلله الحب أو التفاهم ربما أراد القدر أن يبتسم أخيرا في وجه منى بعد معاناتها.

وقبل أن يفاجئها صوت المنبه بأن الساعة السابعة صباحا وعليها النهوض لإعداد طعام الإفطار لحبيبها وزوجها ولتلك الجميلتين فريدة وجميلة فاجأها أدهم وهو يفتح عينيه رويدا رويدا ويقول بصوت يتخلله النعاس ويمتزج كثيرا بالنوم: وحشتيني أووووووي.

قبلت جبينه وقالت: انت وحشتني أكتر جدا. . ثم أكملت. . تعرف أنا كل مرة بحس إني في حلم جميل أوي ومش عاوزة أصحى أبدا منه مبصدقش إنه خلاص انت معايا بجد وجنبي وأبو بناتي.

لامس جسدها بيده الحانية وتحسس خصيلات شعرها الناعمة ببطء وبدا بتقبيلها ومداعبتها تلك المداعبات التي ما تنتهي دوما بممارسة جنس صباحية وتتسللت فيما بعدها بخفة لتأخذ حماما دافئا وتحضر طعام الإفطار لهما وتوقظ الفتاتين للذهاب للمدرسة وبعد أن ودعت زوجها قبل ذهابه لعمله بدأت في أعداد فنجان قهوة لترتشفه على مهل وهي تستمع إلى أغنية فيروز. . إيه في أمل.

****

ندى إبراهيم

لوعة الفراق

أيار ١٩٤٨. .

أنظر إليكِ فيتضاعف الأسى، منطوية على نفسكِ في خيفةٍ ورجفة محتضنة رضيعنا الذي لم يكمل عامه الأول بعد، الدموع تتناثر بلا توقف وشعرك الذي يشبه سواد الليل مُشتت، في عينيكِ ضجيج وصراخ لا تقوين على البوح بهما، أسفًا لكِ يا حبيبتي البكماء على ذاك الذل وتلك المهانة. .

مختبئين بالقبو كقطيع من الجرذان ليس بوسعهم سوى الانقياد لذاك الاحتلال، صوت الطلقات يقترب وأصوات جنودهم تعلو، باحثين عن من يفتكون به وأن كان من الإبرياء، خطواتهم تتسارع نحونا ونحن بلا حيلة خاضعين للأمر، قبلتُ رأسكِ واحتضنتُ طفلنا وتلفظتُ الشهادة لعلها لحظاتنا الآخيرة. .

اقتحموا قبونا وبقلوبهم المليئة بالقسوة أطلقوا الرصاص غير آبهين لصراخ ذاك الرضيع واستغاثة النساء وكأن ليس لهم غاية سوى إبادتنا ليظفروا بكِ يا قدسنا، استسلمنا رُغمًا عنا وكيف لنا أن نواجه كيد هؤلاء الطغاة الظالمين، ذهبوا بعدما تأكدوا من أننا قتلنا جميعًا.

بعد عدت دقائق اتضحت الرؤية. .

دماء متناثرة في الأرجاء، نيران مشتعلة كقلبي المتقد من فرط الألم، أُقتحمنا ودُمرنا وبات منزلنا فتاتا، لم يعد بوسعي سوى البكاء على الأطلال، هل أبكي عليكِ يا قدس أم على فراق حبيبتي الحسناء. .

ببطء زحفتُ إليها أحاول إفاقتها ولكن الموت قد حان، مازال الصغير يبكي ذهبتُ إليه وحملته متمنيًا من الله حفظه، ركضتُ به بالرغم من تلك الرصاصة المستقرة بقدمي اليسرى رحلتُ به إلي المشفى أملًا في إن أنقذه

وحينما بلغتُ إليها كان الأوان قد فات. .
تمت مراسم دفنكما معًا، حبيبتي ورفيقة الدرب أبكرتِ الرحيل مازلت أرفض الخضوع للأمر، نظراتك الباسمة وحدها كانت تصبرني على المشاق وأحضانك الدافئة تغنيني عن كل الصعاب وكيف لي أن أبقى بدونكِ، الروح لا يملؤها سوى شجن والفؤاد مليء بالحزن.
تذكرتُ يا حبيبتي روعة اللقاء وكيف أني سقطت متيمًا بهواكِ حين رؤياكِ، حينما نظرتُ إلي عينيك البتارتين من نظرة أغرمت بهما ولم أقوَ على نسيانك.
رؤيتكِ أسكرتني ودمع عينك أربكني، شهية كنتِ، أمعنتُ النظر بكِ رُغمًا عني وحاولت استقصاء سبب الحزن من عينيكِ، فأطرقتُ في خجل كي لا أخدش حياءك، تحاولين ضم تلك الخصلات الهاربة ولكنكِ تخفقين فتنسدل مرة أخرى كأوراق الشجر التي تحاوطكِ، وحدكِ كنتِ لم يكن معك من يجفف دمعكِ ويطمئن قلبكِ. .
ترددتُ بالذهاب نحوكِ كي لا تعرضي عني، تقربتُ إلي مقعدكِ في محاولة بائسة لأهدئ من روعك ولكن أنينكِ يزداد بكوب من الماء مددتُ يدي لعلكِ تأخذيها فأخذتيها في أدب، حاولت مرارًا معرفة اسمكِ ولكنكِ عنيدة كالصخر لا تتفوهين بكلمة فتنظرين إلي آسفة ازداد البكاء مرة أخرى ونظرات الجميع تحاوطنا تنطوين على نفسكِ في ارتعاد ورعشة لم تهدئي إلا حينما أتى أخوكِ، عانقتيه وكأنه هو الحمى والأمان، فجفف دمعكِ وأسكن تهدج أنفاسكِ، شكرني على ما فعلته معكِ ولكنكِ لم تتفوهي بكلمة فكفاني شكر عينيكِ ذهبتما دون وعد بالإياب فتوهج الفؤاد واتقد خوفًا من عدم اللقاء، شاء القدر أن تتلاقى أرواحنا مرة أخرى، علمتُ حينها لماذا كنتِ حزينة وخائفة في تلك المرة التي رأيتكِ بها، بكماء صماء أنت منذ ولدتي وقد

كنتِ تائهة وخائفة ألا تري شقيقكِ مرة أخرى، مازلت أتذكر كيف توردت وجنتاكِ خجلًا حينما كتبتُ لكِ أني أحبكِ لم تجيبي سوى بعينيكِ فلغتهما أقوى ألف كلمة، الفؤاد لا يملؤه سوى أسى على فِراقكِ والدموع لن تشفي يومًا ألم رحيلكِ، الذنب سيظل بداخلي فضعيفًا كنت لم أقوَ على أن أنقذكِ أنتِ وملاكنا الصغير أستندثر كل تلك الأحلام التي تواعدنا بتحقيقها معًا، ألن نظل معًا حتى يعتلي الشيب رأسنا ويشب صغيرنا. .

هل أكتب لكِ رثاء الآن أم رثاء لذاتي التي باتت تشبه الفتات، ستظلين أبد الدهر بالفؤاد فإنه لغير هواكِ لا يخضعُ وذكراكِ لن تندثر مهما طال الزمان ولو أن الأمر بيدي لأتيتُ إليكما لتطمئن الروح ويعم السلام ولكن لن نلتقي إلا حينما أثور لكما وأخذ حقكما من كل معتدٍ جبار، حتى تعود قدسنا المباركة فتزول الغمة ويأتي الهدوء فالفَلاح سيكون حليفنا فإن الذل لا يقبل على أرض العزة والكرامة، ستعود القدس ويُشفى الجرح مهما طال الانتظار.

****

أدهم عساف

صديق في العتمة ينقِذ لا يؤذي

الأخ أقرب أم الحبيب؟
-الصَديق.
منذ يومين كان هُناك محاولة انتحار، فتاة ساذجة في السابعة عشرة من عمرها لا تعرِف عن الفرحة إلا قليلا، تراكمت عليها الهموم بمعنى الكلِمة أدت إلى فقدان شيء غالٍ جدًا منها، فتكاثرت عليها أكثر وأكثر، تباعد عنها أصدقاؤها وعائلتها. . و. .
منذ يومين كان كُل ذلك سينتهي بمحاولة جادة منها بقطع أحد شرايينها من بداية يدها اليمنى وكانت قد جهزت كل شيء وجهزت آخر ورقة لها مكتوب فيها -أنا لستُ سيئة أنتم من فعلتُم هذا، أنا الآن في مكان أنقى- قبلها بعدة ساعات كانت تُحدث هذا الصديق:
- ازيك.
حينها شعر أن هُناك شيئا ما يحدُث لأن طريقة إلقاء التحية ليست هكذا بينهُما، فرد عليها بنبرة هادئة:
- أنا الحمدلله تمام، تعالي نخرج.
محاولًا إخراجها من ذالك الجو الذي يُسيطر عليها، سكتت لبرهة ثم قالت:
- معلش، خليها مرة تانية عشان أنا رايحة دلوقتي لأخويا أقعد معاه يومين أغير جو.
الصمت عَم المكان لمدة دقيقة منه ومنها ثم تابعت:
- بيني وبينك أنا رايحة أنتحر هناك، ششش خليه سر بينا.
جحوظ عينيه سيطر عليه وعيناه امتلأت بالدموع ولا يستطيع فعل شيء الآن فهي ستُغادر بعد بضع ساعات والمسافة بينهم بعيدة، لا يريد فعل شيء يؤذيها أكثر ولا أن يبعدها عنه فهو فكر في مكالمة والدتها وإخبارها

بما سيحدُث ولكن عم الهدوء فكره وبدأ يتحدث معها بمزح حتى يغير تلك الأجواء السيئة:

- يااااه أخيرا هتموتي وتريحينا بقي.

فجأة تغير لشخص جدي لا يعرف المرح لوجهة طريق:

- المحن اللي بتمري بيها دي كلها اختبار من ربنا، عايز يشوفك هاتعملي إيه وهتتصرفي ازاي، ليه حكمة في كده سبحانه وتعالى، غير كده هتموتي كافرة وأكيد مش هيبقى عذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة مش كلهم بعدوا عنك أنا جنبك هنا، سندك، ضهرك وأخوكي، راجعي حساباتك لأن اللي بتفكري تعمليه ده مش كويس.

لأول مرة كانت في إنصات تام وعدم الإلماح منها أنها ستكتب مرة أخرى لترد بها عليه، لكن في حزن قاتم:

- ميرضيش ربنا اللى بيحصل ده ولا يرضيك انت شخصيا.

رد قائلًا:

- ولا يرضي ربنا إنك تعملي في نفسك كده.

فتابعت:

- طب انت في رأيك أعمل إيه يعني؟!

مع نهاية كتابة تلك الرسالة كان أذان يقام من المسجد وكان الفجر فرد قائلًا:

- قومي نصلي الفجر.

وفي يوم غد عاد لها ذلك الشيء التي فقدته وعادوا أصدقاؤها وأهلها، وتلك النقط كانت تشير لحبيبها لأنه هو أيضًا لم يتحمل ذلك من كثرة تيهه بسبب ما يحدُث معها وعادت إلى حياتها الطبيعية بسبب صديق.

المهدي النور

سوء فهم

كان يا ما كان، في قديم الزمان، أسرة تتكون من أم وأب وثلاثة إخوة ذكور وأخت كانت أكبرهم. من بين الإخوة الذكور، كان هناك طفل صغير ذو سبعة سنين من عمره. هذا الأخير لطالما أحب الكتابة على السبورة بالطباشير. فقد كانت لديه واحدة يكتب عليها كلما سنحت له الفرصة، خاصة بعد عودته من الدوام المدرسي، فيأخذ بذلك دور الأستاذ لنفسه.

ذات يوم صباحًا، عندما كان هذا الطفل يكتب في السبورة في غرفته الخاصة كما جرت العادة، أراد أن يمسح ما دونه فلم يجد الممحاة المخصصة لهذا الغرض، فطلب من أمه أن تعطيه منديلًا أو شيئًا من هذا القبيل لكي يستعمله بدل الممحاة الضائعة. لكن الأم كانت منشغلة ببعض الأمور المنزلية التي لم تجد منها مناصًا، لذلك لم تعر الطفل أي اهتمام. في المقابل ابنها بنزعته الطفولية التي تتميز بالرغبة في الحصول على أي شيء يريده في الحين (غياب مفهوم الزمن)، فهو كما يصطلح عليه في سيكولوجية الطفولة، متمركز حول ذاته فقط (Egocentrisme)، لا يحتوي في قاموسه على شيء اسمه متطلبات العالم الخارجي أو أخذ بعين الاعتبار ظروف الآخرين، بتلك النزعة استمر طوال اليوم في تكرار طلبه على الأم دون أن يكل أو يمل أو تبدو عليه علامات الاستسلام. تواصل الأمر إلى أن فاض صبر الأم كما يفيض البركان بعد أن استمرت حممه في الصعود شيئًا فشيئًا حتى وصلت إلى أعلى القمة. حينها قالت لطفلها وعلامات الرفض تبدو على محياها -اذهب واقطع من ذلك الغطاء الفاخر. . . -. لو كنتَ شخصًا راشدًا لفهمت حينها من كلام الأم أنها قصدت عكس ما قالت -إياك أن تقطع من ذلك الغطاء. . - لكن الطفل آنذاك لم يصل بعد إلى المرحلة التي يصبح فيها قادرًا على فك

رموز الكلام وفهم ما وراءه. لذلك تعامل مع كلام الأم بظاهره لا بباطنه، فذهب وقص من ذلك الغطاء الفاخر جزء استعمله كممحاة لسبورته. في تلك اللحظة، عندما لاحظت الأم ما قام به، ثارت كما يهيج الثور عندما يرى اللون الأحمر، فكان طفلها بمثابة اللون الأحمر الذي ما إن تراه حتى تهجم عليه بكل عنفوانها. تفجر غضب الأم فتوجهت ناحية الطفل وبدأت في -قَرْصِهِ- في المكان السفلي من أرجله، وهذه خصوصية ثقافية تمتاز بها الأم المغربية على وجه الخصوص (وبالتدقيق بعض الأمهات، فالأمهات المغربيات أمهات وليست أم واحدة فقط)، ولا يدل هذا الفعل بالضرورة على عدم الحب، بل قد يكون عكس ذلك تمامًا، تعبيرا عن الحب بالعنف.

هنا الطفل أخذ بظاهر الكلام الصادر عن الأم كما هو، دون زيادة أو نقصان، دون تحليل لما وراءه، ودون غوص في الأعماق. لكن الأم كذلك أخذت سلوك الطفل في جزئيته دون أن تأخذ بعين الاعتبار خصائص المرحلة التي يمر منها، فغاب بذلك التواصل بين الطرفين. وعندما يغيب التواصل يتولد عنه سوء الفهم، وبالتالي مشاكل لا حصر لها، تتراكم فوق بعضها البعض إلى أن تصل إلى قمة الجبل، فتسقط هاوية نحو الأرض محطمة كل من يمر في طريقها. وليس من الممكن دائمًا أن ندرك حساسية الأمر في جميع الأحوال وفهم إشارات ما يحصل في الحين. حصول ذلك رهين ببنائنا جسرًا للتواصل (جسر التواصل)، على أن يكون هذ الجسر مليئًا بقيم التسامح حتى لا يؤول إلى السقوط. فحتى لو كان ضيقًا في الحجم، قد يمر منه الكل إذا كان مشبعًا بقيم التسامح.

في إحدى القصص اليابانية، يمر طفلان من جسر معين في الاتجاه المعاكس لبعضهما البعض، كان كل واحد منهم يحمل مظلة يحتمي بها من المطر،

عندما وصل الطفلان إلى نقطة الالتقاء في الجسر، أزاح الأول مظلته وأفسح الطريق للثاني كي يمر، حينها استطاع الثاني أن يمر كذلك دون اصطدامات أو عراقيل، فهنا كان التواصل إيجابيًا، ولو بدون كلمات. قد تبدوا هذه القصة اليابانية بعيدة كل البعد عن القصة المغربية التي ذكرتها في البداية. لكن لو كانت الأم طفلًا في القصة الأولى، لفهمت هي الأخرى سلوك ابنها على حقيقته وليس كما أرادت له أن يكون. آنذاك كان ممكنًا أن يمر جسر التواصل الإيجابي بين الطرفين، ولفهم الوضع في عُمقه.

****

أمير عبد الرحمن

خادم لوسيفر

ذات يوم انتظرته كثيرًا لكن هل انتظاري تحول لعنة. أم اللعنة هي اللي• كانت في انتظاري. .

تعريفًا بي أنا أحمد عمر مؤلف وروائي. جميع كتاباتي تميل لكتابة الرعب وهنا تكمن موهبتي. .

في يوم من الأيام حدثت جريمة قتل في نفس العقار التي أسكن به. ذبح المحامي (إبراهيم الخولي) ركضت نحو شقته. في ذهني تدور فكرة أن أستغل تلك الجريمة لكي أضعها حجر أساس لروايتي الجديدة، انتظرت التحقيقات لجمع أكبر المعلومات التي تكفيني لكي أبدأ في كتابة الرواية بدقة واحترافية. .

الجريمة تبين للتحقيقات أن القاتل غير معروف ولا توجد أي بصمات على السكين الذي تمت به عملية الذبح. .

أنا لا أحتاج أكثر من ذلك. ربما هذا يكفيني لكي أبدأ كتابتها. .

ذهبُت لشقتي بعد أن جمعت المعلومات، كانت الساعة في ذلك الوقت تشير إلى الثانية والنصف فجرًا. غلبني النعاس، رقدت على فراشي بعد أن انتهيت من كتابة المقدمة. . بعد حوالي نصف ساعة شعرت بوجود شيئًا ما أسفل فراشي. كأن هناك شعلة نيران أسفل الفراش. حرارة مرتفعة بطريقة غير عادية

نظرت أسفل الفراش، لا يوجد شيء. . أكملت نومي ومرت الليلة بسلام تام وكأن شيئًا لم يكن!

في صباح اليوم التالي كانت النيابة العامة متواجدة في مسرح الجريمة، الجريمة التي تحدثت عنها الصحف -الجريمة التي حيرت العفريت-.

كان هذا هو عنوان الجريمة في الصحف، ربما العنوان يثير للضحك. .
اتجهت إلي شقتي لبدء سرد الرواية، ظللت أكثر من سبع ساعات أكتب، الغريب أنني كنت أرى الحروف وهي توضع أمامي في شاشة -اللاب توب- بعد الانتهاء من الكتابة وجدت أني لم أكتب حرفًا واحدًا!!
في هذه الليلة الساعة كانت بالتقريب الواحدة صباحًا، حدث صوت خارج من -اللاب توب- أنا لست مجنونًا، -اللاب توب- يخرج صوتًا، أنصت جيدًا للصوت، هناك صوت يقول سطور الرواية التي مسحت بالكامل. ما الذي يحدث!!
هلاوس؟ قلة نوم؟ لا أعرف. .
نعستُ مكاني، استيقظت على حرارة شديدة حولي، كأنني في نيران جهنم وحان الآن حسابي. . فتحتُ عيني الشمال نصف فتحة، هذا حقيقي!! لا. لا. لا.
أنا متواجد بجانب جثمان (إبراهيم الخولي)، الجثمان الذي رأيته وهو غارق في دمائه، أنا في قبر!!
اتسعت عيني لكي أرى الصورة كاملة. هناك ضوء خافت ينير أنحاءه. مثل الشمعة، لا أعرف هذه هي جثة (إبراهيم الخولي). الجثة مثل أول مرة رأيتها. بملابسها التي رأيتها عليها. الصراخ غير مباح لي، كأن لساني قطع. حركة جسدي كانت خفيفة. استطعت القيام من مكاني. رأسي هي فقط التي كانت ثقيلة إلي حد كبير. حاولت التحرك لكن كأنني ملتصق مكاني، ثابت لا أستطيع التحرك ولو نصف سنتي. .
ثمة أصوات مرعبة متداخلة في ذهني، علم هذا أم حلم، أنقذني يا الله. أنقذني يا الله. .

حاولت أن أميز الصوت الذي يحاوط المكان، صوت خطوات أرجل آتية من خارج القبر. . . يشبه صوتها كصوت أرجل الخيول. . سريعة الإيقاع.
حتى جاء من خلفي الصوت الذي جعلني أسقط أرضًا من فزعي عندما رأيته، التفت للصوت برقبتي، رأيت (إبراهيم الخولي) قال:
- أهلًا بك. .
أفاقت عيني على فراشي، وجدت نفسي على فراشي بالفعل، لأجد (إبراهيم الخولي) جالسًا بجانبي، حكى لي بصوت هادئ:
- لا تقلق، ربما ستكون نهايتك سعيدة. بيدك الاختيار.
حركت رأسي يمينًا ويسارًا من الخوف، أردف هو قائلًا:
- بعد عشر دقائق من الآن وعندما تأتي الساعة الواحدة وثلاث دقائق، ستكون متواجدًا في مشرحة -مأمون- في مقابر الإمام. ستجد هناك من قام بذبحي. ما عليك فقط هو أن تقرر فيهما ما فعلوا معي. وهذا ليس اختيارا لكي تنفذ. اختيارك الوحيد هو إما أن تختار الموت أو تختار الحياة.
مازالت غير فاهم لشيء واحد، هذا كابوس لكنه كابوس قاتل للأعصاب، دون اختياري وجدت نفسي بداخل المشرحة ظلام لكن ينير جزءًا من المشرحة إضاءة خافتة، رصدت عيني ثلاثة أشخاص راقدين على الأرض وكأنهم مخدرين، أين أنا؟ ما الذي يحدث؟
التفت على صوت عجوز في عمر الستينات، في يده اليمنى كلوب ينير به أنحاء المكان وبيده اليسرى سكين.
- هذه تعتبر فرصتك الأخيرة، السكين معك. افعل ما أمرت به.
أعطاني السكين، شيء ما يدفعني ناحية الثلاثة الراقدين
صوت العجوز جعل ضربات قلبي تزداد في إيقاعها.

- لا وقت للتفكير. . تذكر الموت أم الحياة.
أنا لم أنطق حرفًا واحدًا حتى الآن. . ربما خوف، ربما إنني لم أستطع حتى الآن تفهم ما يحدث لي. . لا أعرف.
وضعت السكين على رقبة أول واحد منهم، السكين هو الذي ذبح ليس أنا. . أقسم ليس أنا.
بعد أن انفصلت رقبته عن جسده، جسدي لا إراديًا يتحرك نحوه الثاني ليفعل به ما فعل بالأول. حتى جاء الأخير وضعت السكين. حدث شيء جعل المكان عاد للظلام مرة أخرى. الأخير اتسعت عينه أثناء ذبحه.
صوت ركض العجوز نحوي. أبعدني العجوز عن الأخير بدفعة قوية جلعتني أرتطم بالأرض.
بعد حوالي دقيقة، عادت الإضاءة للمكان بالكامل والأخير مذبوحًا مكانه، قال العجوز بصوته الغليظ:
- الآن يتبقى آخر شيء، أضع كل جثمان منهما بداخل الثلاجة التي مكتوب عليها مائة وثلاثة. . تحرك.
نظرت خلفي لأجد حوالي خمس عشرة ثلاجة كل رف منهما، كانت هي الثلاجة التي تتوسط الاثنين في الرف الثاني، قمت بحمل أول جثمان على كتفي الأيمن، الثلاجة من الداخل عميقة إلى ما لا تستطع العين رؤيته ورائحتها كريهة إلى أبعد مدى، بمجرد وضعي للجثمان، تبخر. الثاني هكذا والثالث. بعد حوالي دقيقة واحدة. قال لي العجوز:
- قم بفتح الثلاجة.
كالمغلوب على أمري، فتحت الثلاجة. جميع الجثث تحولت إلى هياكل عظمية!!!

يا إلهي، ما الذي يا يحدث. أغثني يا الله.
- انتهت مهمتك لهذا الحد، اخرج من هنا فأنت حر.
ركضت نحو الباب لم أستطع فتحه، كانت ثقيل الحركة. صوت خطوات خلفي آتية، أنا خائف للمواجهة. بحركة بطيئة التفت لأجد. (نفسي) قادمًا نحوي وفي يدي سكين حاد، هذا أنا بكامل هيئتي. أقسم هذا أنا، نفس السكين الذي ذبحت به الثلاثة والدماء تلطخه. ابتلعت ريقي خوفًا، آخر ما أتذكره هو أني أخذت ضربة قوية على رأسي أسقطتني أرضًا، أفاقت عيني على صوت بجابني يقول وهو يحاور شخصًا آخر.
- إلهنا الأعظم أمر بذبح من لم يقم بتنفيذ العهد معه، من ضمن هؤلاء الذي يرقد أمامك، يدعى (إبراهيم الخولي).
- لم ينفذ ماذا؟
- هذا الرجل قام بمعاهدة مع الإله ليساعده فيها الإله بأخذ كل ما يحلم به. بعد تنفيذ إلهنا لوسيفر له في مطالبه لم ينفذ هو له طلباته ويوجد ثلاثة أيضًا لكن نالوا حسابهم بيد هذا الشخص، كم هو عبقري إلهنا لوسيفر جلعهم يقتلون بعضهم البعض وكأنه مشاهد لفيلم قام بإخراجه، وأصبح لا يتبقى سوي هذا الشخص فقط.
- من الذي يقوم بذبحه؟
- شخص اقتحم عالمنا ليس له علاقة به وسينال جزاءه.
- أنا، إبراهيم الخولي. ما الذي أسمعه. لا لا لا -
حاولتُ مرارًا وتكرارًا الصراخ ولم أستطع نهائيًا.
- اتركه الآن حتى يأتي قرار بذبحه.
انهمرت عيني من الدموع، هذا حلم. بالتأكيد هذا حلم، وجدت قلما وعدة

أوراق ملطخة بالدماء لأكتبُ لك أي شيء تتذكرني به، تأكد أني حتى اللحظة التي أكتب لك فيها. أنا لم أؤذي شخصًا واحدًا طوال حياتي، نصحيتي لك ابتعد عن عالمهم. كما سمعت. العالم الخاص بهم يؤدي بك لطرق مظلمة وأنت لم تملك شعلة لتنير بها طريقهم. . أرجو ذلك منك ابتعد، إلى اللقاء.

(هذه الورقة مرسلة لك بالتحديد، العجوز خادم لوسيفر وحتمًا ستكون أنت الضحية القادمة)

****

حسين علي

أفراح النساء

هناك نساء يحتلون العالم. . . وهناك نساء يحتلون القبور، ولكن في النهاية هي لعنة ولا أحد يعلم سرها حتى الآن.

لم يكن يريد أن يصل إلى أشياء لا يعلمها ولكن الخراب المستمر الذي يحدث ف هذا المنزل.
مزيكا هادئة. . أصوات ناس يتحدثون كثيرا. . القلق المستمر. . ووسط كل هذا الظلام الفتاة التي تجلس في الشرفة ليلا. . حتما هناك سر في هذا المنزل.
لا أريد أن أذكر اسمي لعلي يوما أكون مذيعا مشهورا في القناة التي أعمل بها الآن. . أنا خريج كلية صحافة وإعلام. . أتدرب الآن على تقديم البرامج الصغيرة ولكن هناك برنامج قادم سيكون لي إن ذكرت اسمي هنا الآن سيكون معرفتي في الأيام القادمة سهلا. . . ولا أريد أحدا أن يعلم من أكون. . .
في شارعنا هنا. . . من أحد السنوات القليلة جاء إلينا جار جديد يسمى الحاج عبد الخالق لديه ابنتان وزوجة. . يعيشون حياتهم في عزلة دائمه لا أحد يعلم عنهم شيئا. .
بالمناسبة لدي خالة مهمتها معرفة أسرار البيوت. . . عندما تريد أن تبحث في بيوت الناس اذهب إليها ستدلك على مفاتيح البيت وأسراره. . قد تقول لك ماذا يطبخون اليوم. . لا أعلم من أين تأتي بتلك المعلومات. . هل تعمل بالمخابرات؟ أم تعمل بأمن الدولة؟ لا شيء إنها حقا بارعة جدا في نقل الأخبار والأسرار. .

ذهبت إليها مبكرا. . أريد أن أعرف ماذا عن حياتهم. . . إلى أين يذهبون. من أي مكان جاءوا إلى هنا. .
كانت الإجابة معقدة. . أنا لا أعلم شيئا عن ذلك المنزل.
هل صعب جدا هذا المنزل كي تكون خالتي لا تعلم عنهم شيئا؟
سأحكي لكم بعض الأشياء عن ذلك المنزل. .
هدوء تام يسود حياتهم. . لا أرى رجل الكهرباء يأتي إليهم لأني لا أتذكر متى يشعلون الإضاءة. .
المنزل مظلم دائما ولكن فقط في الثالثة بعد منتصف الليلة هناك أنثى تجلس في شرفة البلكونة وتسمع أغاني مختلفة جدا كنت أعتقد أنها تعمل ملحنة. . لأني كل يوم كانت هناك موسيقى مختلفة لنفس الأغنية التي لا أعلم ماذا تقول.
(كاسوا ماسوا خاسوا ايسوا اووه اووه كاسوا ماسوا خاسوا ايسووا اووووه)
أي لغة هذه. . هي لغة لاتينية أم عبرية أم ليست لغة من الأساس. .
داومت يوميا على الجلوس في الشرفة. . كنت أراها في كل ليلة. . حتى أيقنت أني أصبحت مدمنا للغة لا أعلم سرها. . قرأت في أحد الكتب يوما أن هناك حالة تسمى (زينوجلوسيا) وهذه حالة تكون بسبب مس جن والمصاب بها يتحدث لغة غير معروفة. . ولكن هي ليست مصابة إنها تسمع فقط. . ولا تتحدث بها وربما تحاول أن تغنيها ولكن لا فائدة أنا أعلم جيدا أنها تتحدث العربية. . كنت أسمعها عندما تتحدث إلى أصدقائها. . بالتأكيد هي ليست مصابة بأي حالات مثل هذه. .
مع مرور الأيام. . . يوما تلو الآخر. . قررت أن أخبرها أني أحبها . . حقا أنا وقعت في حب بنت الجيران كما يحدث في الأفلام. . .

ولكن كيف أخبرها بحبي. . ونحن لم نتحدث قط. . .
وفي يوم قمت بتسجيل الموسيقى التي كانت تشغلها باستمرار. . وقومت بتشغيلها في ثاني يوم على أغنية لعمرو دياب. . . أعتقد عمرو لو نطق من صوت الموسيقى لكان أخبرني أنها سيئة جدا. . وأنه لا يستطيع أن يعمل معاها. .
رأيت خيالها يقترب مني. . بالفعل هي قادمة إليّ. .

***

- لو سمحت؟ إيه اللي انت مشغله ده؟
- دا عمرو دياب *مع ضحكة خفيفة كدا*
- وحضرتك عارف معنى المزيكا دي؟
- لا بصراحة أنا سمعتك وانتي بتلحنيها فعجبتني فقررت إني أسجلها وأشغلها على الأغاني اللي بحبها.

* * *

وحينها طلبت أن نصبح أصدقاء. . وبالفعل أصبحنا هكذا. . . كانت في كل ليلة تلحن لي أغنية جديدة كما قلت سابقا لا أعلم ماذا تقول تلك الأغاني الملعونة التي أخشى أن أخبرها أني لا أعلم معناها. لأني كنت أراها دوما سعيدة بتلك الأغاني وتقول لي إنها تتحدث عن الحب أي حب يا سيدتي. . إنها مرعبة جدا . . ومخيفة. .
وبعد أن أخبرتها بحبي. . . طلبت منها أن آتي وأتقدم لخطبتها. . وافقت بالطبع ولكن الغريب أنها قالت لا تأتي إلى أبي أنا سأخبره ذلك بنفسي وسأقول لك ماذا قال.

كان الأمر غريبا جدا ماذا أقول لأهلي. . هل سأخبرهم أني سأتزوج سيدة لم أقابل أباها. . ولكن هذا طلبها سأقوم بتنفيذه على أي حال. .
وبعد أكثر من أسبوع دون أن أراها تجلس في الشرفة. . . رأيتها اليوم كانت سعيدة أكثر من اللازم وأخبرتني أن أباها قد وافق ويقول لي حدد ميعاد الفرح الذي يناسبك وأخبرنا به. .
بالتأكيد سيكون الفرح في أقرب وقت ممكن لأني مشغول في الفترة القادم. .

* * *

من المفترض أن اليوم هو يوم زفافنا. . أخبرتها بذلك الموعد منذ أيام ولكن لم تأتِ إلى الحفل حتى الآن. . مازلت في انتظارها من آن لآخر الجميع هنا في قلق مستمر أين العروس الحفل لن يكتمل بدونها. . أخبرتهم بأنها ستأتي. . ولكن ربما هناك عطل ما في سيارتها أو زحام طريق. . .
سمعت أحدا يقول اذهب إليها وائت بها إلى هنا. .
لقد صار الغريب يقول لي ماذا أفعل.
كان المشهد عجيبا الجميع في انتظارها وهي لم تأتي. .
تركت ذلك الحفل وذهبت مسرعا إلى منزلها ولكن لم أجد المنزل في مكانه. .
ما هذا هل حل الجنون بي؟
سمعت صوتا يأتي من خلفي.
اهدأ قليلا لن أوذيك لماذا جئت إلى هنا في يوم زفافك؟
حكيت له ماذا حدث منذ البداية. .
فتبسم الرجل وقال لقد كان موعد زفافي أيضا في ذلك اليوم منذ أكثر من عشرين عام بوالدة من تقول عنها ولم تأتي إلى الحفل هي الأخري. .
وعندما يأتي ذلك اليوم مرة أخرى بعد عشرين عاما. . ستجد من يخبرك أن

موعد زفافه اليوم ببنت من كنت تريد الزواج منها. . .
إنها لعنة يا ولدي تأتي كل عشرين عاما لرجل جديد ولن تنتهي أبدا إنها لعنة سيدة. . .

****

د/ هشام عباس

الخاتم

هز القاضي رأسه محاولا نفض الأفكار العنيفة التي تجتاح رأسه وتمنع عنه النوم دون جدوى. .

كانت تلك القضية التي هزت الرأي العام محور تفكيره وكيف لا وهو سيحكم فيها غدا. . مقتل واحد من أبرز شباب رجال الأعمال ليلة عرسه على يد صحفي مغمور. .

تبدو القضية سهلة فالقتل تم في قاعة العرس في ذلك الفندق الشهير وسط مئات المدعوين والقاتل ضبط متلبسا بجريمته وأداة الجريمة في يده فما المشكلة إذن فالقاتل اعترف بجريمته. . إن القاضي يستطيع أن يصدر حكمه وهو مستريح الضمير. .

ولكن تفاصيل المشهد كانت أعمق من هذا التصور البسيط. . كان هناك دفاع الفتى عن نفسه. . هو شاب حديث التخرج رقيق الحال كانت مهمته تغطية حفل الزفاف الباذخ لحساب صحيفته. . كان ذلك الحفل جديرا بأن يبعث في نفسه السعادة لمشاهدة حدث لا يتكرر لأمثاله من البسطاء ولكنه في الحقيقة كان يشعر بمرارة لا حدود لها نكأها حفل الزفاف. .

مرارة شاب في مثل عمر العريس الثري. . شاب له حبيبة اقتحمت أبواب قلبه منذ رآها في الجامعة وهو مازال بعد طالبا. . تلك الأبواب التي كان يحرص على إغلاقها بإحكام ولِمَ لا وهو يعلم يقينا أنه لا قبل له بالحب ولا بالزواج. .

ولكنها كانت من الجمال والرقة والوداعة على جانب باهر جعله لا يستطيع المقاومة. . ومن يقاوم ملاكا يهبط من سمائه الغنية إلى أرضه الفقيرة الجافة ليعمرها ويدفع في مسامها بدماء الحياة. .

وعاش في حلم لذيذ. .
ولكنه سرعان ما أفاق منه على كابوس العجز والفقر إذ لم يستطع إبقاء الملاك في أرضه فطار إلى سمائه مرة أخرى تاركا أطنانا من الحزن والحسرة تجثم على قلبه. .
كان يتمنى أن يرفض الذهاب ولكنه لم يستطع خوفا من فقدان الوظيفة التي جاءت بعد معاناة كبيرة. .
وذهب للحفل وعقله يلتهب بصراع خفي بين حرمانه البين والبذخ الفاضح الذي سيشهده. .
ارتدى أفخر ملابسه وذهب للحفل. .
شعر أول ما شعر بالانبهار والضآلة في آن واحد. .
نظر لملابسه الرثة قياسا لما يراه أمامه وحمد الله على الزحام الذي لن يعطي أحدا الفرصة لينظر له أو حتى يحس بوجوده. .
ما كل هذا البذخ والإسراف. . هل يشعر هؤلاء أن هناك في ذات الكون الذي يحيون فيه أناسا مثله. .
لم يشعر بالحقد ولكن شعر بالعجز. . بالضآلة. . بعدم الفهم. . لماذا هذا الفارق الضخم. . لماذا يحلق البعض في السماء بينما يغوص آخرون في الوحل. .
إن جزءا بسيطا من تكاليف هذا الحفل كان كفيلا بأن يحقق حلم حياته ويدخله جنة السعادة مع ملاكه الصغير. .
وتوالت على عقله المرهق الذاهل مشاهد الحلم الذي عاش في ظله لسنوات واستوقفه مشهد الوداع. .
كانت حزينة دامعة ولكنها كانت جميلة. . لم يستطع الحزن أن يحجب

بهاء طلعتها. . كان قلبه يتلوى في ألم لأنه سيحرم هذه الروح الجميلة ولأنه لا يستطيع محو هذا الحزن عن الوجه الذي كان دائما مشرقا بالأمل والطموح. .

لم يتحدثا. .

ظلا صامتين وتركا لعيونهما العنان تتزودان لفراق طويل. .

ثم نهضت وفي عينيها دمعة سالت على خدها الأسيل فمد يده ليلتقطها وود لو استطاع أن يستبقيها في يده ولكنها تبخرت ككل آماله. .

وعاد عقله يشتعل بالألم وعاد قلبه يسير في تيه العجز والمهانة. .

ولكنه انتبه فجأة على صوت موسيقى تلك الأغنية الشهيرة. . رأى العريس من خلال عيونه الزائغة يلتقط ذلك الخاتم الماسي ويستعد لإدخاله في إصبع العروسة وهما يتبادلان نظرات وبسمات السعادة. .

كان الخاتم يتلألأ وسط بحور النور التي تسيل في القاعة وكان لتلألئه وقع عجيب على عقل الفتى المسكين. . العقل الذي أظلمه الفقر والظلم. .

وانطلقت الفكرة من ظلام العقل إلى حيز الواقع. .

إن هذا الخاتم وحده كفيل بحل مشكلته. .

ماذا لو اختطفه من يد العريس وهرب. . لا أحد يعرفه هنا ولن يستطيعوا الإمساك به فأطنان الدماء التي تتدفق في قلبه النازف ألما كفيلة بأن تجعله يطير من القاعة. .

ثم. .

ماذا سيضير العريس. . إنه يستطيع شراء العشرات من هذا الخاتم. .

ودون تردد نهض مسرعا وانقض على العريس وانتزع الخاتم منه وسط ذهول الجميع. .

ولكن رجال الأمن تحركوا بسرعة للإمساك به. .
وحاول أن يطير. . أن يعدو. . أن يسير. .
ولكن قدميه تيبستا فجأة. .
سمرهما نظرة العريس له. .
نظرة احتقار وازدراء هائلين. .
لا يا سيدي. .
لست لصا. .
ولست بمستحق لاحتقارك. .
فليس ذنبي أنني فقير وأنك غني. .
ولست أريد غناك. .
فقط أريد الحياة. . وقد كافحت كثيرا لأنالها دون جدوى فحاولت اقتناصها.
وهبط العريس من كرسيه إلى أرض الفتى. .
ومد الفتى يده ليعطيه الخاتم. .
ولكن العريس تجاهل يده وصفعه صفعة مدوية أطارت صوابه وهو يدير بصره وسط الوجوه الذاهلة التي تراوحت بين الشفقة والاشمئزاز. .
لماذا؟
لماذا كل هذا الذل وتلك المهانة؟
ألست إنسانا من حقه أن يحلم ويعيش ويحقق حلمه؟
أليس لي قلبا يستحق أن يلتقي بمن يحب؟
ولم يدر بنفسه وهو يختطف مسدس رجل الأمن ويردي العريس قتيلا. .
تجمدت أحاسيسه بعدها وهو يقتاد إلى قسم الشرطة. .
وظل صامتا حتى مثل أمام المحكمة. .

اعترف بجريمته. .
ولكنه لم يصمت مكتفيا بذلك. .
بل ظل يصرخ. .
لست أنا الجاني. .
أنا المجني عليه. .
لقد قتلت مرة. .
ولكن المجتمع قتلني مرات ومرات. . المجتمع الذي لا يشعر بي ولا باحتياجاتي. .
لست أطلب البراءة ولكن أطلب العدل. . أن يحاكم المجتمع الذي قتلني طيلة حياتي كما أحاكم. .
وعاد القاضي يتململ في فراشه محاولا الهرب من أفكاره. .
كان قد دون حكمه بناء على الدلائل والقرائن. .
ولكنه لم يكن مستريحا. .
كان يشعر أنه لم يحقق العدل. .
ولكن ماذا كان باستطاعته أن يفعل؟
وعاد يحاول الهروب من دوامة الأفكار. .
٤ ديسمبر ٢٠١٤

****

عبد الله أمجد أسامة

٣٧ يوم

بدأ كل شيء في إحدى الغرف في المستشفى. .
دخل الطبيب الغرفة وسط ترقب جميع من فيها.
يتحدث أحد أقرباء المريض: أيها الطبيب لقد مرَّ أسبوعان تقريبًا وحالته لا تتحسن البتة. .
يرد الطبيب: لا تقلق لقد عدلت له جرعة الدواء. . سيتحسن حاله عمَّا قريب.
بعد مرور أسبوع آخر، تطلب زوجة المريض استدعاء الممرضة. . . اقتحمت الممرضه الغرفة.
نظرت بفزع للمريض وبجوارها زوجته تتلعثم في الكلام من فزعها، استدعت الممرضة الطبيب.
دخل الطبيب الغرفه فور استدعائه ولكن قبل أن ينطق بشيء تصنم مكانه حيث رأى كل من في الغرفة يجهش بالبكاء. . حينها أدرك أنَّ المريض قد فارق الحياة. .
لم يستطع حينها أن ينطق بأي كلمة إلا أنه توجه لزوجة الفقيد لا يدري ماذا يقول لها وهي تبكي على جثته إلاّ أنَّه تأثر من المنظر وفرت العبرات من عينيه. .
وقال لها: أنا حقا أعتذر إنها غلطتي.
ترد عليه المرأة وهي تصرخ: ماذا تعني؟ هل ستعيده لي مرة أخرى؟
وقعت تلك الكلمات على الطبيب كوخز إبر في قلبه ولكنَّه لم يجد الرد المناسب فاكتفى بمغادرة الغرفة وتعزيةِ أقارب الفقيد.
وظل يحدث نفسه: ولكني حقا أجهل سبب وفاته هل كان حادثًا عرَضيًا أم

أني أخطأت في تشخيص حالته ولكني كنت متاكدًا من أنه يعاني من إصابة طفيلية عاديّة. بعض المضادات الحيوية والمطهرات كفيلة للقضاء عليها. .
- مرت ستة أشهر منذ تلك الحادثة وما يزال الطبيب يبحث في سر وفاة ذلك المريض حتى جاء ذلك اليوم الذي كان فيه الطبيب في بيته يشاهد الأخبار.
جميع العناوين الرئيسية تخبر بوفاة عشرات المرضى لسبب مجهول. .
تذكر حينها ما حدث معه منذ ستة أشهر وشك أن يكون نفس الشيء قد تكرر مرةً أخرى.
لم يقطع تفكيره العميق إلا صوت نغمة هاتفه المحمول.
التقط هاتفه ليسمع الآتي: حالةٌ طارئةٌ عليك القدوم حالًا. . .
هرع الطبيب سريعًا وهو لا يعلم ما ينتظره هناك.
عندما وصل للمستشفى. . بدأ بمعاينةِ حالة المريض الذي يعاني ارتفاعًا حادًا في الحرارة مع انخفاض ضغطهِ عن المستوى الطبيعي.
طلب منه الطبيب أن يحدثه عما يشعر به فتكلم المريض بوهن: أيها الطبيب إني أختنق. . أشعر أنَّ صدري يضيق وأنَّ معدتي تتقطع من الألم.
الطبيب يوجه تعليماته للممرضين: أحتاج تحليل دم حالًا.
بعد مرور ساعه تظهر نتائج التحليل.
نظر الطبيب للنتائج وارتسمت على وجهه علامات القلق عندما رأى أنَّ المريض يعاني من إصابةٍ طفيلية. . في الحال وقع في ذهنه أن تكون نفس الإصابة التي شهدها منذ أشهر.
أمر الممرضين بحجز المريض في جناح معزول وتقديم خافض للحرارة وبعض المضادات الحيوية والمسكنات. . من ثم أسرع يبحث في أرشيف المستشفى

عن تحاليل المريض الذي توفي سالفًا وطابقها بالتحاليل الحالية. .
صدم عندما رأى تطابق التحاليل وتطابق الأعراض التي حدثت للمريضّين.
ولكنَّه لا يزال يرى أمامه مجرد إصابة طفيلية عادية لا شيء مميز فيها.
ينادي أحد معاونيه: أحضر لي سريعًا عينة دم أخرى من المريض. .
ذهب الممرض لإحضار العينه وعاد بعد بضعة دقائق.
الطبيب يتحدث: أحضر لي المضاد الحيوي الذي أعطيناه للمريض. . .
يعامل الطبيب العينة بالمضاد الحيوي ثم يطلب من المتخصصين عمل تحليل لتلك العينة.
عند تفحصه لنتائج التحاليل وجد أنَّ جميع الطفيليات قد تحللت بتأثير المضاد الحيوي.
تلك النتائج طرحت العديد من علامات الاستفهام في رأس الطبيب. . فإن كان المضاد الحيوي قد قضى على الإصابة الطفيلية في تلك العينة إذن لماذا لا يبرأ المرضى. . ولماذا يموتون بتأثير إصابة طفيلية عادية كتلك. .
ولكن خطر على ذهنه شيءٌ مهم وهو أنَّه من الممكن أن تكون الطفيليات ليست هي السبب المباشر لوفاة المرضى إنما هو شيء آخر يغفل عنه. .
الطبيب يحدث الممرض: توجه إلى المختبر وأخبرهم أني أريد تحليل سموم لعينة الدم تلك. .
نفذ الممرض ما طُلِبَ منه على الفور، في تلك الأحيان ذهب الطبيب ليلقي نظرة على المريض فتوجه لغرفته ليجد أنَّ حدةَ آلام المعدة -على الرغم من عدم اختفائها كليًا- إلا أنها صارت أخف حدةً من ذي قبل وهذا شيء طبيعي لأن الطفيليات بدأت تهلك بتأثير المضادات الحيوية.
لكن مع ذلك لا تزال توجد حلقة مفقودة لا يستطيع الطبيب تحديدها.

على الرغم من فعالية المضادات الحيوية ضد الطفيليات لا تزال حالة المريض دون تحسن ولا تزال حرارته مرتفعة كما كانت.

الطبيب يحدث المريض: لا تقلق ستكون على ما يرام عما قريب. . .

غادر الطبيب الغرفة بعد أن أمر الممرضين المسئولين عن متابعة حالته بعدم تقديم أي أطعمة تحتوي على السكريات له وذلك لأنها مصدر غذاء للطفيليات. .

مر الوقت سريعًا وانقضي اليوم عندما ظهرت نتيجة تحليل السموم الذي طلبه الطبيب سالفًا.

تفحص الطبيب النتائج بتمعن. . حتى الآن يبدو كل شيء طبيعيًا. .

إلى أن تقع عينه على وجود نوع مجهول من السموم يسبح في دم المريض في تلك الأحيان اتسعت عينا الطبيب وأيقن حينها أنَّ تلك الحلقة المفقودة التي حيرته ماثلةٌ أمام عينيه.

فلم تكن الطفيليات هي السبب المباشر لوفاة المرضى إنما هو ذلك السم القاتل. . .

انتفض الطبيب ويتوجه لغرفة المريض.

هرع يحدث الممرضين: أخفضوا جرعة المضاد الحيوي تدريجيًا ثم اقطعوه عنه تمامًا عندما تشير تحاليله لخلوه من الطفيليات تمامًا والأهم من ذلك أريد منكم حقنهِ بمضاد سموم كل اثنتي عشرة ساعة حتى تتحسن حالته. .

مر أسبوعان ولا يزال المريض في معاناته على الرغم من حقنه بمضادات السموم وعلى الرغم من موت جميع الطفيليات بداخله. .

الطبيب لا يدري ماذا يصنع لقد خرج كل شيء عن سيطرته حتى إنَّه أخذ عينات من دم المريض وعاملها بكل ما يعرف من مضادات السموم ولكن لا

جدوى من كل ذلك فما زال السم في الدم غير متأثر بتلك المضادات.
بعد مرور أسبوع آخر يذهب الطبيب ليعاين حالةَ المريض فيصدم عندما يفتح باب الغرفة ويرى خطًا تام الاستقامة على شاشة جهاز رسم القلب والذي يعني أنَّ المريض قد فارق الحياة.
سقط أرضًا جاثيا على ركبتيه وعينيهِ ترتجفان وهو لا يصدق أنَّ كل ما فعله ذهب أدراج الرياح وأن روحًا أخرى قد أفلتت من يده. .
منذ ذلك اليوم استقال الطبيب من عمله في المستشفى ليكرّس جهده ووقته لإيجاد مضاد مناسب لذلك السم الخبيث. . بعد أن جمع عدة عينات لأشخاص مصابين بذلك الوباء. .
في تلك الأحيان كان ذلك الوباء قد تحول لمشكله أمنٍ قوميّ استدعت الحكومة لعقد اجتماع مغلق للبحث في سبل معالجة تلك الأزمة. . .
في وقت لاحق قرر الطبيب وهو في مختبره اختبار تأثير المرض على عينة من الفئران، قام بحقنها ببعض من الدماء المحملة بالمرض. . وظلَّ يراقب سلوكها ويُجري لها التحاليل اللازمة يومًا بيوم ولكنَّه لاحظ بعد مرور أسبوع أنَّ الفئران قد أصيبت بإصابة طفيلية كما حدث مع المرضى ولكنَّ سلوك الفئران كان طبيعيًا وكأنَّها لا تعاني من أي مكروه. .
مرَّ الأسبوع الثاني ولا يزال لا يوجد أي أثر للسموم في دم الفئران ولكنَّ أعراض الإصابة الطفيلية بدأت تظهر على الفئران وبدأ سلوكها يتغير تدريجيًا.
بعد مرور بضعة أيام ظهر السم أخيرًا في دم الفئران.
أسرع الطبيب بأخذ عدة عينات من دم الفئران وفحص بدقةٍ تامة ذلك السم.
حاول وبجهدٍ كبير تجربة عددٍ كبير من مضادات السموم التي قد صممها

خصيصًا لتلائم تركيب السم. .
إلى أن جاء ذلك اليوم.
كعادته يجرب أحد المضادات التي صنعها بعد أن أصابه اليأس والإحباط الشديدين. .
ولكنَّه صُدِمَ عندما رأى أخيرًا أنَّ الفئران تستجيب لذلك المضاد الجديد وأشرق وجهه سعادةً وابتهاجًا عندما رأى أنَّه بعد أسبوع اختفى السم تمامًا من دم الفئران جميعًا وعادت لطبيعتها مرةً أخرى. . .
ابتسم ابتسامة منتصر حملت العديد من المعاني التي تغني عن الكلمات.
فقط ليكون متاكدًا كرر التجربة مرارًا وتكرارًا خاصةً بعدما حلل خصائص ذلك الوباء فاكتشف ما يلي:
يفارق المريض الحياة بعد إصابته بالإصابة الطفيلية بسبعةٍ وثلاثينَ يومًا.
ولكنَّ المشكلة تكمن في أنَّ أعراض الإصابة لا تظهر على المريض إلا بعد مرور أسبوعين من الإصابة الطفيلية مما يعني أنَّه يتبقى له ثلاثةُ أسابيع بعد ظهور الأعراض عليه حينها تكون الطفيليات قد أفرزت ذلك السم الخبيث في دمه فيكونُ الظاهر لنا أنها مجرد إصابة طفيلية عادية يمكن علاجها ببعض المضادات الحيوية. .
بعد إعادة التجربة لمرات ومرات كانت النتائج مذهلة فقد عاشت جميع الفئران دون استثناء. .
بعد مرور أسبوع عرضَ الطبيب ما توصل إليه من نتائج على المختصين بوزارة الصحة.
تم الإعلان أن العقار ستتم تجربته على البشر لأول مرة خلال يومين على أحد المرضى. .

مرَّ اليومان بسرعة شديدة. يذهب الطبيب بعد تجهيز عقاره بشكل كامل لموضع الاختبار ولكنَّ القلق ما زال يراوده فكان يحدث نفسه: مما أنت قلق؟ لقد نجت جميع الفئران. . . أتمنى أن يسير كل شيء على ما يرام. . .
حانت لحظة الحقيقة وكان المريض الذي بلغ ستةً وثلاثينَ يومًا من تاريخ الإصابة يُحَدّثُ الطبيب وهو يدمع: أيها الطبيب هل حقًا سأعيش؟
رد الطبيب: لا تقلق سيسير كل شيء كما خططنا. .
يتم حقن المريض بمضاد السموم الجديد وسط ترقب من جميع الأطباء والعلماء الذين اجتمعوا لأجل لذلك اليوم. . .
تمر أربعةٌ وعشرونَ ساعة والجميع يترقب وتتسارع دقات قلوبهم. .
وبينما هم على تلك الحالة تُسمع صافرة طويلةٌ من جهاز رسم القلب ويظهر الخط المستقيم مرةً أخرى كما كان سالفًا. .
لقد توقف قلب المريض. . . حدث ذلك وسط صمت الجميع. .
من هول الصدمة سقط الطبيب أرضًا وكأنه فقد زمام عقله. .
لم يمرَ الكثير حتى انتشر نبأ فشل العقار الجديد بعد كل الضجة التي صاحبته. .
يستفيق الطبيب ليجد نفسه في زنزانة مغلقة.
يصرخ بأعلى صوته: أين أنا؟ من الذي أحضرني إلى هنا؟
لا يجد من يجيبه. . ولكن تمر بضعة أيام حتى يأتي أحد المسئولين إليه.
يتحدث الطبيب: سيدي من الواضح أني ارتكبت خطأً ما. . أرجوك صدقني. لقد عاشت جميع الفئران أمام ناظريكم.
من المؤكد أن هناك شيئا خاطئا قد حدث.
يجيبه المسئول: أيها الطبيب لقد صدر قرار بنفيك لإحدى الجزر المهجورة

حتى تلقى حتفك فيها وحيدًا. .
ولكني حقا لم أقترف أي ذنب. .
الحياة صعبة أحيانًا سيدي الطبيب.
يقول هذا بينما يرفع قبعته احترامًا للطبيب. . . .
ما هي إلا أيام فعلًا وتم نفي الطبيب لإحدى الجزر النائية الخاوية ليقضي ما تبقى له وحيدًا شريدا. .
يقضي أيامًا وأياما هائمًا على وجهه لا يفعل أي شيء سوى محاولة تأمين بعض الطعام والشراب.
ولكن ما يزال يشغل عقله كل ما مضى من أحداث ويفكر مليًا في سبب عدم نجاح العقار على الرغم من نجاحه مع الفئران. .
وبينما هو منشغل بالتفكير قرر إعادة التجربة ولكن بشكل مختلف.
وجد معه بعض عينات دم مصابة بالوباء وبعضا من عقاره الجديد. .
قام بجمع أربعة فئران وقام بحقنهم جميعًا بالوباء وانتظر أسبوعين حتى تكون السم في دم الفئران ومن ثم حقن اثنين منهم بالعقار وترك البقية دون علاج. .
تبقت ثلاثة أسابيع على لحظة الحقيقة. . .
ولكن بعد مرور يوم واحد يحدث شيءٌ لم يكن في الحسبان يقلب الموازين رأسًا على عقب.
فعندما استيقظ الطبيب من نومه أحسَّ بارتفاع في درجة الحرارة مع آلام حادة في معدته. كاد يغفل عما حدث ولكنه سرعان ما أدرك وضعه.
نعم هو الآخر تبقت له ثلاثة أسابيع في تلك الحياة. . . .
قد أدرك أنَّه أُصيب بالوباء قبل أن يحقن الفئران بيوم واحد. . . حاول بيأس

حقن نفسه بما تبقى معه من العقار. . .
ولكن لا جدوى من كل ما يفعل فحالته لا تتحسن البتة. . .
تنقضي الثلاثة أسابيع الخاصة بالفئران وسط استسلام تام من الطبيب الذي يعلم أنه على بُعدِ ساعات من نهايته. .
يذهب بيأس ليعاين الفئران الأربعة لعله يجد من أحدهم أنيسًا له عندما يفارق الحياة غدًا. .
يمشي في ضعف وفتور ولكن عندما يصل إلى الفئران يُذهلُ مما يرى ويتصنم في مكانه حيث أنه لم يتوقع تلك المفاجئة. . .
لقد عاشت الفئران الأربعة. من حقن منهم بالعلاج ومن لم يحقن على حد سواء. .
جلس يتأمل فيهم لساعات وهو مصدوم مما يرى ولكنَّ الخيوط المتشابكة في ذهنه بدأت تنحل وتتضح. . .
فقد أدرك أنَّ سبب نجاة الفئران أول الأمر لم يكن بفضل عقاره الجديد إنما كان بتأثير الجهاز المناعي الطبيعي للفئران. . . .
أدرك أخيرًا أنَّه توصل لحل نهائي لذلك الوباء وهو إيجاد الأجسام المناعية الموجودة في دم الفئران والتي تعاملت غريزيًا مع ذلك السم. ومن ثم حقن البشر بتلك المضادات أو ما يشابه تركيبها. .
ولكنه يتذكر أنَّ ذلك لن يقدم أو يؤخر شيئا فهو على بُعدِ ساعات من توديع تلك الحياة. . ولا يوجد أحدٌ معه على ظهر تلك الجزيرة. . .
يحدث نفسه وهو يبكي: ليتني أكون فأرًا ليوم واحد. .
يلتقط بعض أوراق الشجر ويصنع جرحًا عميقًا في كتفه باستعمال آلة حادة حتى يتسنى له استخدام دمه كما الحبر. .

يخط ما توصل له بالتفصيل على أوراق الشجر والدم يسيل من كتفه. ومن ثم يضعه في زجاجة ويلقي بها في المحيط أملًا منه أن تصل لأحد الشواطيء ويجدها أحدهم ليضع حدًا لذلك الوباء اللعين. . .

تمر الساعات وكأنها تسابق الرياح. . وتصعد روح الطبيب إلى السماء وحيدًا على تلك الجزيرة المهجورة راجيًا أن تصل أوراقه التي دفع ثمنها غاليًا إلى الشخص المناسب. . .

يسكن مكانه ولا تفارقه الابتسامة يتلقى مصيره بكل سرور ورضى بجوار النخيل وحبيبات الثرى الناعمة.

- تمت بحمد الله -

****

مايكل فوزي

رق الحبيب

رق الحبيب وواعدني يوم
وكان له مدة غايب عني
حرمت عيني الليل م النوم
لاجل النهار ما ييجي يطمني

هكذا بدأت يومها المُشرِق. . . هكذا استيقظت السيدة العجوز ذات الأربعة والخمسين عامًا على كلمات تلك الأغنية. . . هكذا وقفت تلك العجوز تتلمس حبات النسيم عبر نافذة الغرفة، تسقط آشعة تلك الشمس الخريفية فتلمع شُعيراتها البيضاء القصيرة وتنير وجهها الثلجي الجميل برغم تلك التجاعيد التي رسمت خريطة عليه.
أغلقت النافذة وقد تركت ابتسامتها بالخارج فيسعد الهواء ويمرح، ثُم توجهت إلى حبيبها وسندها بتلك الحياة، انهُ زوجها -حبيب- ابتسمت له عندما وقعت عيناها عليه، فهو ينتظر تلك الابتسامة كل صباح ليبدأ يومه، قبلت رأسه ذات الشعر الأبيض الناعم، كانت تتساقط من عينيها السعادة وهي تجر كرسيه المُتحرك، منحها الله قُوة لتلبي احتياجات زوجها العاجز.
ذهبت بالكرسي حتى صالة المكان، استقر حبيب بكرسيه المتحرك بجانب أحد كراسي الأنتريه، أما زوجته فتجلس عن يمينه بأحد الكراسي، نظر لها بعين مكسورة خجولة، فقابلتها بابتسامة حنونة وحركت يدها اليمنى على صدر حبيب ثم قالت:
- خادمتك وزوجتك ستظل تحت رجليك حتى يفتقدني المولى، أنت زوجي وأبي وأخي وسبب سعادتي، منحني الله شرف الوجود بجانب شخص مثلك،

فأرجوك لا داعي لتلك النظرات الحزينة يا حبيب.
ابتسم ابتسامة ثقيلة ونظر بعينيها وأطلق لها سهم الحب والعرفان. . . ثم نظر أقصى اليسار على الحائط. . . إنها صورته عندما كان بالثلاثين من عمره أخذ يحدق بصورته وهو في ريعان شبابه.
أطال النظر. . . ثبت عينيه بها. . . ذهب للماضي وقت أخذ الصورة. . دخل في أعماق الصورة المُعلقة على الحائط.

فلاش باك – منذ سبعة وعشرين عاما بصالة استاد القاهرة المُغطاة عام ١٩٩١ (مباراة قبل نهائي بطولة المصارعة والتي تقام بمصر)
المباراة بين المُصارع -مروان الحبيب- وبطل الجمهورية للعام المنقضي -داغر-
الصالة ممتلئة عن بكرة أبيها، عشرون ألف متفرج، الأغلبية تُشجِع -مروان الحبيب- المُصاب بقدمه اليسرى ومنعه الأطباء لكنه شخص عنيد وطموح أصر على خوض المباراة.
المباراة في قمة حماستها. . نيران التنافس مُشتعلة، لا تسمع شيئا نتيجة تشجيع وتصفيق الجماهير الحاد، بالكاد الاثنان يلتقطون أنفاسهم، يأخذون التعليمات من خارج الحبال من مدربيهم، بالصفوف الاولى بجانب المقصورة تجلس -هدير- محبوبة -مروان- الجديدة. . . والتي يستمد قُوته من نظرة من عيناها. . . يكاد قلبها يتوقف خوفًا على محبوبها البطل.
ضربة من قبضة -داغر- جعلت -مروان- يفقد الوعي. . ثم وقف ينظر للمشجعين متباهيًا بسطوته ولسان حاله بأنه سيقتنص البطولة، يذهب ناحية مروان لإنهاء الموضوع.

الآن سيضرب ضربته القاضية، توجه لمروان وأخذ بالضرب المُتتالي أسفل كتفه اليسرى. . لكي يشل حركة ذراعُه، وأمسك بذراعه اليسرى لكي يـ. . .
لا لا كانت مجرد خدعة من مروان. . لقد سحب داغر أرضًا. . . تثبيت أكتاف. . . سريعا يحسب الحكم.
١. . . ٢. . . ٣. . مروان الحبيب هو الفائز بمباراة نصف النهائي.
تهتف الجماهير للبطل مروان الذي يعطي التحية لجمهوره. . . تأتي هدير لعناق حبيبها.
من بعيد تقف رحاب ابنة عم -مروان- وكانت خطيبته وحبيبته. . لكن منذ فترة وقبل أيام قليلة رآها وهي تقف مع -داغر- وتتفق معه وتسرد له نقاط ضعف مروان. . وحينها صفعها أمام داغر ومضى ومنذ ذلك الحين تترصده رحاب بكل مكان وحاولت إفساد المباراة إلى هذا اليوم (مباراة نصف النهائي).
والآن عندما دخلت الحلبة توجهت للمهزوم -داغر-. . . نظر مروان إليهما نظرات استحقار. . . لم يتمالك أعصابه وذهب أيضا وصفعها صفعات متتالية على مرأى ومسمع من الجميع، فنهض -داغر- غاضبًا ليثأر من -مروان- ووجه الجمهور السباب والكلمات الجارحة إلى رحاب والتي أخذت داغر وذهبا.
بدأ مروان بالاستعداد للمباراة النهائية. . . خاض كورس علاج طبيعي لقدمُه المُصابة، كانت محبوبته هدير بجانبه طوال الوقت. . . كانت تغمره السعاده بوجودها. . كانت تلمس نجوم السماء لوجودها بجانب البطل المروان.
أصبح -الحبيب- جاهزا تمامًا لخوض النهائي، جاءته رسالة تحذير عبر الهاتف

تحذره من خوض النهائي، أدرك أنها رحاب. . قال في قرارة نفسه -هل جزاء الحب هو الخيانة يا رحاب!؟-.
نظر إلى حُلمه المنتظر – بطولة الجمهورية للملاكمة.
جاءت اللحظة المُرتقبة للجميع، نهائي بطولة المصارعة بين البطلين: -خالد تايسون- و-مروان الحبيب-.
-خالد تايسون- بطل دورة البحر المتوسط والمشهور بعنفه الشديد، جاءت -هدير- وتركت قبلة بخد مروان الأيمن، ثم ذهبت للمقصورة
وسط الجماهير تقف رحاب حزينة لبلوغ مروان للنهائي وخسارة داغر.
بدأت المباراة، الأسمر خالد يوجه لكمات متتالية لوجه الحبيب فانتهره الحكم وحذرهُ لكنه يعرف جيدا نقاط ضعف خصمه، ضربات متتالية من مروان موجهة للجانب الأيسر لتايسون جعلت الأخير يقذف بمروان من أمامه ثم انقض عليه أرضًا
ضربة من تايسون لقدم مروان اليسرى تحمل الغل والضغينة جعلته يسقط أرضا دون حراك
تثبيت. . . ١. . ٢. . لا، نهض -مروان- ليستكمل والإصرار الحديدي يملأ فكره.
محاولة أخرى سريعة من تايسون.
تثبيت. . ١. . . وقبل استكمال العد وكان من الممكن فوز تايسون لكنه أصر على المزيد من الضربات للقدم المصابة، هاج الحكم ودفع تايسون بيده بعيدا وأنذره بإلغاء المباراة، نهض مروان ويكاد لا يرى أمامه، هدير تنظر بقلق ناحيته.
رحاب التي تتابع المبارة نهضت سريعا ناحية الحكم الخارجي، توترت

الأجواء وزمجر جمهور مروان لكن بحركة سريعة من تايسون طار وانقض على مروان وأمسك بقدمه اليسرى وحاول تهشيم المفصل. . . صرخات متتالية من مروان.

تدخل الجميع للفصل بينهما، تايسون لا أحد يقدر على الفصل بينه وبين مروان، الأخير غارق في صرخاته.

تم إنهاء المباراة واستبعاد تايسون. . ونقل مروان للمستشفى بأقصى سرعة ممكنة. . لينتظر الجميع الرحمة من المولى القدير.

أدخلوه سريعا، ذهبت هدير تلهث ناحية الطبيب. . . وعلى إثرها احتدم خلاف نشب بينهم وتركت الطبيب وذهبت.

جاء الخبر كالصاعقة، شلل نصفي للجزء السفلي لمروان، انهار الجميع موتًا. . لم يصدقوا ما سمعوا.

وأيضا بحاجة لعملية زرع خلايا واستئصال الكلية اليسرى، بعد وقتٍ طويل بغرفة الطبيب دخل أخيرا ليُجري الجراحة هو واستشاري الغدد وطبيب التخدير والذي جاء سريعا.

أثناء هذا الوقت لم يبرح أصدقاء مروان ومدربينه مكانهم

ظلوا حتى انتهاء العملية، بفجر اليوم التالي استفاق -مروان- وعلم ما حدث والشلل النصفي مُسلما أمره للقدير ناظرا للسماء، حزن جدًا لعجزه.

سأل عن -هدير-، على باب الغرفة جاء -داغر- يبتسم ابتسامة سعيدة، فرآه -مروان- فنظر لقدميه المشلولتين ثم نظر لداغر بانكسار ونفس حزينة وقال:

-هل جئت شامتًا بي؟!

دخل -داغر- ومازال مبتسمًا ووقف عند سرير أعلى رأس مروان المستلقي

عاجزًا. . . ثم انحنى داغر وقبل رأس مروان.
اندهش الأخير مما يحدث ومن وجه داغر الحزين برغم الابتسامة، ثم قال داغر:
-حمدًا لله على سلامتك، هل أنت بخير؟
- الحمد لله على كل الاحوال، لولا أن تبرعت -هدير- بكليتها لكانت الخُسارة أكثر من قدماي بكثير، هدير أنقذت حياتي.
-أنت تقصد -رحاب-.
- ماذا تقول!؟
-أقول الحقيقة. . . الحقيقة التي آن الاوان أن تعرفها وتعيها جيدًا.
- أي حقيقة؟؟ تكلم يا داغر.
-هل تقدر أن تخبرني أين -هدير-الآن؟أنا سأجيبك، هدير هربت، رفضت التبرع أو مساعدتك، تشاجر معها الطبيب لذلك ثم غادرت المكان ولا أظن انك ستراها مُجددًا، هدير كانت تُحب البطل الخارق لكن بمجرد أن حدثت لك تلك الظروف فانتهى حبها لك بنفس اللحظة.
- وما صلة رحاب بما جرى؟
-إن كلية رحاب داخل جسمك الآن، رحاب من تبرعت لك بكليتها، رحاب من كانت ستموت قلقا وخوفا عليك، رحاب من تحملت كل إهاناتك لها، رحاب من رضت بأن تضربها وتهينها أمام الناس.
رحاب من كانت تبكي ليل نهار لعدم وجودك، رحاب هي من حاولت الحفاظ عليك بكل الطرق.
هذه هي رحاب، هي الآن بالغرفة التي بجوارك تتلقى العلاج بعد الجراحة وفي قمت سعادتها لوجود كليتها بجسمك.

- ولكني رأيتها معك قبل المباراة التي جمعتنا وتسرد لك كيف تهزمني
-نعم يا حبيب، لقد كانت تُريد هزيمتك وخروجك من البطولة ولا أستطيع أن أنكر ذلك، ولكنك لم تسأل نفسك لماذا كانت تريد هزيمتك يا صديقي!! أتذكر كيف حذرك الأطباء من استكمال البطولة بسبب ساقك ولكن لعنادك الشديد فجاءت إليّ وطلبت مني هزيمتك وسردت لي نقاط ضعفك. . بالطبع كانت مجازفة منها ومني لكنها فعلت هذا لأجلك أولا. . . كل محاولاتها وتهديدها لك بعد أن فشلت هي والأطباء بإقناعك عن العدول عن البطولة، كانت تعرف جيدا خطورة المباريات على ساقك ولم تجد سبيلا سوى ما فعلته لان أطباء البطولة سمحوا لك بالمشاركة.
هذه هي رحاب يا صديقي الحبيب. . هذه هي رحاب يا مروان.

نعود مرة أخرى للعجوز مروان وزوجته.
أخيرا استفاق مروان ووجد نفسه مازال ينظر لصورته أثناء البطولة منذ سبعة وعشرين عاما. . وزوجته تحاول إفاقته. . . وعندما نظر لنفسه واستفاق ثم نظر لساقيه العاجزتين ثم وجه نظره لزوجته. . زوجته -رحاب- نعم رحاب.
وخجل من نفسه ونكس رأسه أرضا ثم دخل بنوبة بكاء مريرة
وأثناء بكائه قال وبصوت مبحوح ضعيف قال لرحاب:
-والآن يا رحاب مضى سبعةُ وعشرون عامًا. . كيف تحملتِ كل هذا. . كيف جئتِ إليّ وطلبتِ بأن نرتبط! كيف وكنتِ تعرفين أنني لن أنجب أطفالا؟ كيف ترتبطين بشخص عاجز. . لماذا رضيتي بهذه الحياة إلى جانب الحبيب العاجز. . أصبحتِ متقدمة كبيرة بالسن ولكن مازلت تخدميني

بكل سعادة وقلب فرح.
لماذا ارتضيتي بكل هذا يا رحاب!؟
- فقط لأني أحبك يا مروان، أحبك وسأموت تحت قدميك.
صمت الاثنان لمدة طويلة وسط نظرات دافئة ملأتها بئر حنان متدفق من عيني رحاب.
لحظات كلام بالأعين فقط دون الشفاه، كهرباء الحب لامست قلب العجوزين، ثُم حرك مروان يده اليمنى وأخرج علبة صغيرة من وراء ظهره ثم قدمها لحنان ففتحتها وسط اندهاشها.
إنها هدية عيد الحب. . إنه خاتم صغير. . . أمسكه العجوز مروان وألبسه لحبيبته رحاب ثم قبل يدها. . شهقت ووضعت يدها على فمها غير مصدقة وقد امتلكت النجوم برؤية هذا المشهد ونهضت ببطء وضمت رأس مروان لصدرها.
ترقرقت أعيم الاثنين بالدموع. . نظرا لبعضهما وسط شعاع حب خرج من عين مروان اخترق جدار أعين رحاب.
-ما أروعك يا كيوبيد، سهمك ينغرز بالقلوب فمن يستطيع إخراجه!!-
سبعة وعشرون عاما وما زالت شجرة حبهما يافعة خضراء مليئة بثمار الشوق، تكسوها أوراق الحنان. . ترتوي بماء العشق. . تستقر هذه الشجرة بأرض مشاعرهما. . . ويحفظها رب السماء.

****

محمود أحمد إبراهيم

مقطوعتي - صغيرتي

مقطوعتي

خرجت من سيارتي مسرعا قليلا حاملا في يدي آلة الكمان، فكنت على قائمة فريق مسرح أطفال الغد، وسنقوم بمسرحية اليوم، في مكتبة الإسكندرية توجهت في ردهة المكتبة، بعدما عبرت باب التفتيش مسرعا نحو القاعة الكبرى، تحديدا خلف الكواليس فباقي على رفع الستار خمس دقائق.

- انت اتأخرت ليه يا بهجت.

- معلش يا يوسف أصل العربية عملتها معايا وانت عارف الطريق.

- بسرعة يلا جهز نفسك.

- تمام.

بدأ الحفل، وبدأت الفرقة بالعزف، والجميع ينصت بانبهار.

لقد لاقت المسرحية تصفيقا حارا من الجمهور، انصرفت خارجا وفجأة توقفت.

ظهرت علا أمامي تبتسم، كان الجمهور يلتقطون الصور معها، رفعت يدي بالكمان فظهرت علامات الفرح عليها واتجهت نحوي مسرعة.

استجمعت شجعاتي في محاولة لإيجاد ما أقوله.

- كان يوم طويل يا علا.

- اشمعنى يعني، ما كل أيامنا في الحفلات بتبقى طويلة جت على النهاردة.

- والله عندك حق، كله محصل بعضه.

اقترب يوسف منهم وفي يده آلاء خطيبته والصديقة المقربة لعلا.

- ازيكوا يا جماعة، أنا النهاردة عازمكوا على سهرة.

لترد علا: لا معلش، أنا مروحة، والوقت اتأخر.
تضجرت آلاء من موقفها فقالت:
- احنا هنسهر يلا علا، مش هننام في الشارع، خليكي معانا.
- معلش يا آلاء انتي عارفة التمثيل متعب أوي.
- طيب خلاص بهجت يوصلك.
قالها يوسف.
- موافقة.
قالتها مبتسمة.
- دي شكلها واقعة يا عم.
قالها يوسف ممازحا بهجت.

****

خيم الصمت علينا لحظات قليلة، كانت علا قد غلبها النوم، مالت برأسها على كتفي دون أن تشعر، يبدو أنها كانت مرهقة، ترددت هل أوقظها، أم أتركها تنعم بقليل من النوم.
استقرت السيارة أمام منزل علا، تطلعت إليها قليلا ثم حدثتها بلطف.
- علا اصحي احنا وصلنا.
- معلش، نمت شوية.
- لا ولا يهمك، هاشوفك تاني الحفلة يوم الخميس.
- اه أكيد هكلم آلاء ونروح سوا.

****

عند حلول المساء، ارتدت علا فستانا أسود أنيقا، غطى كل جسدها، إلا أنه

لم يخف جمالها ورقة قوامها، غادرت منزلها واتجهت إلى القاعة.
لم تدخل مباشرة ولكنها انتظرت آلاء، خرجت آلاء من السيارة المستأجرة بحلتها الأنيقة وشعرها المصفف.
دخلوا إلى القاعة بهدوء، وسط تصفيق حار للجمهور والمكان ممتلئ عن آخره، جلسا في المقاعد المخصصة لهم.
كنت أعزف مقطوعة بتهوفين على الكمان، توقفت عيناي وأنا أنظر إلى علا، ظللت أتأملها بحب شديد، وهي لاحقتني بنظراتها الدافئة.
أنهت الأوركسترا عزفها، وسط دهشة الحضور.
تركت مقعدي وذهبت إلى يوسف عازف التشيلو وقلت: أنا ملاحظ إن علا بتبقي فرحانة لما ببقي موجود، أنا هاقولها.
- طب ومريم!!
- مريم كانت إعجاب قديم، انت عارف أنا محبتش غير علا.
تتسلل علا وسط الحضور تقف أسفل حافة المنصة.
- بهجت بهجت. .
- أيوة يا علا.
- يلا بينا، آلاء واقفة مستنية بره.
- طيب احنا جايين وراكي.

****

انتظرت آلاء وعلا بالخارج، كان الجو باردا قليلا.
- هو بهجت بيحبني يا آلاء.
- مش عارفة، بس تصرفاته والنهاردة بالذات كان في حاجة عايز يقولها، عارفة لما ابتدى يعزف في الحفلة كنت حاسة إنه بيعزف بمشاعره.

مش هتصدقي لو قولتلك إني مكنتش بسمع غيره بس النهاردة.
رأيت الفتاتين تتحدثان، فقلت:أنا لازم أقولها النهاردة إني بحبها.
- ده أحسن وقت على فكرة.
قالها يوسف مبتسما.
- علا علا
- احنا هنا يا بهجت.
- عايز أوريكي حاجة دلوقتي.
- خير؟!
قالتها باستغراب.
تطلعت بعيني على المكان فوجدت سيارة كانت الأتربة تغزوها فقررت أن انهي تلك الحرب بسلام يدوم لسنوات فوقها.
- انت جايبني هنا ليه؟؟
- استني بس.
استدرت خلف السيارة وبدأت في كتابة شيء على الزجاج، تحركت أصابعي لتكتب لها على الزجاج -أحبك-.
تطلعت لها وأنا أتأمل وجهها للحظات.
- شوفي أنا كتبتلك إيه.
ظلت علا تتأمل كلمته على الزجاج وتتأمل عينيها تفيضان بالدمع، تغلبت عليها مشاعر حب عاصف.

****

صغيرتي

عندما مازحني بهجت قليلا وأراد أن نذهب سويا إلى بائع الورد، فاليوم سيعقد خطبته على علا تلك الفتاة التي لم ينقطع عن التحدث عنها.
أنتم لا تعرفون ماذا حدث بعد لقائهما العام الماضي، سأذكر لكم بعض الأحداث، قبل شهور قليلة أنهت علا دراستها الجامعية وحصلت على دور البطولة في المسرحية التي تقيمها الجامعة نهاية كل عام، وأنا وبهجت كنا في الحفل ليس مدعوين إنما من أعضاء الفرقة الموسيقية، يقولون إننا فريق رائع سويا.
بهجت في نهاية الحفل تحدث مع علا أنه قد أخبر والديه وفي نهاية الأسبوع سيذهب إلى بيتهم، هو يختار الأكثر سعادة عند علا ليخبرها بما يشاء وعلي يقين بأتها ستزداد سعادة، اليوم هو يشعر بالسعادة تغمره بشدة فإنه سيحقق حلمه أخيرا.
بعد انتهائي من مراسم الزواج، قضيت مع علا أسعد الأوقات ولكن سرعان ما تبدل الحال في الأيام القادمة، قرابة الفجر، اشتكت زوجتي من ألم شديد، منذ شهرين تقريبًا أصيبت بالحمى وانتقلت إلى المستشفى الميداني لأن حرارتها وصلت لأربعين درجة وبعد الفحوصات الطبية اللازمة لذلك فاجأني الطبيب، أنها تحتاج إلى نقل دم لأن مستوى الهيموجلوبين ٦ والطبيعي من ١٢ إلى ١٥ تقريبًا، فكيف ذلك.
ذهبت مع الممرضة لسحب العينة وعند سؤالي لها.
- لو سمحتي، هي الفحوصات فيها إيه؟؟

- حضرتك النتيجة مش مرضية الدكتور عنده شك كبير، بس ربنا يشفيها.
- شك في إيه بالضبط؟
- المدام عندها سرطان.
صرخت في وجها كيف ذلك، أنا هنا عشان دور برد بسيط، سرطان إيه وكلام فاضي إيه، لم أنتبه إلا على الإبرة تخترق ذراعي وبدأت عملية نقل الدم.
فور انتهائي ذهبت للطبيب مرة أخرى.
- ممكن أعرف الحالة مالها.
- يا فندم زوجتك عندها سرطان الغدد الليمفاوية، والسرطان انتشر بشكل لا يمكن التحكم فيه، ازاي حضرتك متعرفش وزنها ناقص جدا.
- أنا عارف إن وزنها ناقص، هي مفهماني إن ده ريجيم سريع.
- لا التحاليل والأشعة غير كده، احنا بكرة هنبدأ العلاج الكيماوي ادعولها كتير.
في الصباح خضعت زوجتي لفحص الرنين المغناطيسي الذي أظهر أن المرض انتشر في الطحال والكبد، وعمل على انسداد جزء كبير من الأمعاء، كان شرح الطبيب عن الحالة يؤكد أن علا لن تعيش سوى فترة قليلة ولكنها كانت أقوى مما ظننت، في بداية العلاج بدأ سقوط الشعر بشكل ملحوظ وبعد فترة ظهر على علا القلق والاكتئاب.
رغد دايما كانت عند ماما علا، محبتش إنها تشوف أمها في الحالة دي كانت لسة صغيرة، علا مع بدايات المرض كانت حامل وكان تعب الحمل والمرض شاقين جدا عليها، بس أنا دايما كنت جنبها حتى في أوقات الأجازة، طبعا اتعلمت الطبخ مهو كان لازم حد يهتم بطلبات البيت، في الأول كل حاجة كانت صعبة بس علا كانت دايما بتضحك دايما سعيدة بوجودي، حتى لما

شعرها بقا خفيف جدا كانت بتقولي انت مش لوحدك اللي أصلع ونقعد نضحك.

ماتت زوجتي منذ ثلاث سنوات قضت أغلبهم في المستشفى، ولكن في تلك الفترة كبرت رغد تلك الصغيرة تمتلك القدرة على امتلاك قلبك، إنها نائمة الآن فالجو قارس البرودة، جعلتني اليوم أحضر لها جوارب قطنية جديدة حتى ترتديهم في الحضانة الأسبوع القادم، اليوم ذكرى زواجنا.

كانت علا سعيدة جدا لما الدكتور قال -مبروك يا مدام حضرتك حامل في ولد- قالتلي أنا كده مطمنه على بنتي معاها رجالة.

رغد صغيرتي تعيش في ذلك العالم، إنها تفتقد للكثير ولكني أحاول جاهدا تلبية الاحتياجات الخاصة لها، وليست الطعام والشراب، إنها تفتقد أمها كثيرا، هذا عبء كبير على من يحاولون الصمود أمام مشاعرها.

قريبا ستكمل العام الخامس وأخوها الصغير بدأ في نطق بعض الأحرف الأولى، إنها من جعلته ينطق كلمة -ماما- أولا، علمته المشي لمسافات قصيرة، عندما يمرض لا تتركه ولا تتركني أرحل من دون عناق بل وتحتضن أخاها الصغير كل يوم قبل نومه، تغرقه في حضنها كثيرا.

عندما تشعر بالخوف كثيرا في ديسمبر، ترتمي في حضني وإذا سمعت الرعد أضمها لقلبي، هي الجزء الباقي منها، بعد رحيلها فضلت تنام جنبي، كنت أفرح جدا وأنا شايفها بتضحك، زرت أمي وطلبت منها تعلمني طريقة الضفائر بجميع أشكالها، واستطعت كل يوم أصنع واحدة لصغيرتي. في حفلة عيد ميلاد إحدى صديقتها، أدركت رغد أنها ملاحقة من قبل بعض الأشخاص فور رؤيتهم استطعت الاختباء منهم أسفل الكراسي وخلف الأبواب، وجوههم كانت مخيفة تشبه كثيرا إحدى القبائل التي تعيش في

جنوب أفرييقيا، عندما رأيتها ترتعش من الخوف احتضنتها وقبلت جبينها، حملتها على ذراعي واتجهت بها للشرفة، كان أحد أصدقائي بانتظارنا، أخذ فرشاة وقام بتلوين وجهها قليلا، فور انتهائه كانت تشبه زعيم القبيلة كثيرا، تقمصت شخصيته ولاحقت الحاضرين بصراخ أفزعني حقا.

في رحلتنا الأخيرة للقاهرة، انتظرتها حتى غرقت في النوم وأسندت رأسها على كتفي، أخذت أنظر لها كم هي جميلة تلك النائمة، إنها تمتلك الكثير من أمها حقا، اكتفيت بأن أتفنن في تجميلها قليلا، إنها لا تحتاج شيئا سوي ضفيرة صغيرة، أثرت تلك الخصلة فوق الأخرى يمينا ويسارًا حتى انتهت وأصبحت محاطة بشريط أحمر صغير، عندها استيقظت صغيرتي من النوم فابتسمت لها.

****

مروة عارف

سيبقى الفعل غاليًا!

دق جرس حصة اللغة العربية وتلتها حصة العلوم، دخل مدرس المادة إلى الفصل، وهو الأستاذ عماد، رجل بسيط بمرحلة الشباب، بشوش الوجه، مخلص لعمله لدرجة أن جميع التلاميذ كانوا عباقرة بمادته! وأنا أتذكر أنه لم يكن قاهريًا، كان مغتربًا عن بلده وذويه. .

بدأ الأستاذ عماد في الشرح والأسئلة، وتهافتت الأيدي لقول الإجابات الصحيحة، وأثناء اندماج كامل الفصل وتركيزه التام، لاحظ المدرس تلميذًا مستلقيًا برأسه على الدكة لا يحدث حراكًا، يبدو للناظر من بعيد كأنه غير مبالٍ بما يحدث، غير مهتم بالحصة، ولا يقدر وجود المعلم. .

سكت الفصل، ونزلت الأيدي دفعة واحدة، وحدق الجميع بتمعن وتركيز ليرى ما الذي سيفعله الأستاذ بالطفل. .

عيون الأطفال بريئة إلى حد كبير، لا تعرف حتى أن تخفي مشاعرها، أو ما تريد قوله. . إنها دائمًا صريحة، نقية، وتلقائية.

حدقت عيونهم بخطوات المعلم الثائر، وكانت تنظر بخوف وترقب. . فقد توقعنا جميعًا أن الطفل سيلقى عقابًا شديدًا لا محالة. .

اتجه المدرس نحو الطفل المستلقي في ثورة غضب عارمة ثم هزه بعنف وكاد يهم بتأنيبه، ولكن فجأة ارتسمت تعابير مغايرة على وجه المعلم ذو الملامح المصرية الأصيلة، حينما رأى وجه الطفل الذي بالكاد استطاع أن يرفع رأسه، تغيرت الملامح بعفوية من تعابير الغضب والشر، إلى تعابير أسف محملة بندم بالغ، تتبعهما تنهيدة جزع، الذي لطالما أفقدنا صوابنا. .

وفي مشهد حُفر حفرًا بالذاكرة ولم يبرحها ولو ليلة، رفع المدرس يده قائلًا للتلميذ المستلقي بكل بساطة. . أنا آسف!

ثم أفلته برفق، وعاد ليكمل الشرح. .
ما الذي حدث؟! نظر الأطفال لبعضهم بتعجب، وتساءلت عيونهم بعضها البعض هل اعتذر منه حقًا!
لم يكن التلميذ متجاهلًا للمدرس والحصة عن قصد، بل كان المسكين مستلقيًا لأن المدرس الذي سبق مدرس العلوم قد عاقبه على خطأ ارتكبه بالضرب الوحشي، حتى إن المسكين لم يقدرعلى التحرك. . ! لكن يبدو أن أستاذ عماد أساء الفهم وقد ظن أنه مريض أو ما شابه، ولأني أعتقد أن شخصًا بأخلاق هذا المدرس ما كان ليترك تلميذًا أبدًا تم الإعتداء عليه بتلك القسوة وهو في هذه الحالة السيئة. .
خمسة عشر عامًا مرت على تلك الحادثة وأنا أتذكرها كأنها بالأمس، وكلما تذكرتها أبتسم كأول مرة، لم تغب عن خاطري ولو لحظة، لقد ترسخت بذهني إلى الأبد. .
المدرس المُعتدي كان دائم التحدث عن الفضيلة وعن دروسها، لكنه عاقب طفل صغير عن خطأ ارتكبه بعنف بالغ، جعلت التلاميذ لا يثقون بأي ردة فعل طيبة من أي مدرس، فلا ترى أعينهم إلا العقاب، حتى إنهم ظنوا وظننت الظنون بالأستاذ عماد وأنه قطعًا سيفتك بالتلميذ المستلقي، ولكن الجميع تفاجأ بردة فعله، لقد هدم كافة ظنوننا السلبية في لحظة. .
مر على الموقف أكثر من عقد ونصف ومازلت أتذكر ذلك المدرس البسيط طيب القلب الذي يعمل في مدرسة حكومية بحي شعبي، ويتقاضى أجرًا متواضعًا يعتذر من طفل في عمر العاشرة ليس من أبناء أصحاب القصور والسيارات الفارهة وما شابه، مجرد طفل عادي من طبقة محدودي الدخل كسائر زملائه في الفصل. .

في تلك اللحظة أحدث المعلم شيئًا عظيمًا بداخلي، جعلتني أحتفظ بالحكاية طيلة هذه السنوات وأقوم بتدوينها بنفسي، حتى يعلم الناس أن الإنسان الفاضل لا تغيره الظروف القاسية، وأن الأخلاق لا يمكن أن تنهار أبدًا. .

إن الأمر أشبه بجذر شجرة عظيمة، تقبض فروعها على تراب الأرض قبضًا، لذلك فإن الشجرة لن تزعزعها الريح ولن تخيفها أصوات الرعد، وإذا مررت بجوارها تجدها قوية، واقفة بشموخ، لا تهتز ولا تميل. . هكذا رأيت الأستاذ عماد. .

فقد علمني أن الاعتذار ليس قصرا على الصغار وحدهم، وأن الكبار يخطئون أيضًا وحينها يتوجب عليهم الاعتذار بشجاعة ودون تردد، علمني أن الكلام بخس الثمن ويمكن للجميع أن يتحدث عن الفضيلة والأخلاق، لكن سيبقى الفعل غاليًا إلا على الأقوياء!

وضرب هذا المدرس على ذلك مثالًا عظيمًا ولم ينكر اعتذاره لطفل صغير، لقد أعطاني درسًا غاليًا أقيم بكثير من دروس الكتب. .

بطريقة غير مباشرة تعلمت تلك الطفلة مما فعله المعلم أن الاعتذار لا يقلل أبدًا من شأن صاحبه، بل يرفعه درجات ودرجات، ودون شك يجعله غنيًا بحُسن أخلاقه أمام نفسه وأمام الجميع. .

شكرًا أ/عماد لقد كنت ولازلت مثالًا للمدرس القدوة <٣!

****

مريم وليد

البداية

ينظُر إلى اللافتة الموجودة أعلاه ويقرأ -الطبيبُ النفسيّ يوسف حسين- بدأ يُقدم رجل ويؤخر الأخرى، ثُم هدأ من روعِه وتوجَه للداخل وهو متوتِر وقَلق بعض الشيء. .

تحدَث إلى الممرضَة أن لهُ حجز مُسبق قالت لهُ أن ينتظر دورُه، هُناك من حجزوا قبلُه!

جلَس وأخذ يُحرِك قدمُه بعصبية وتوتر وخوف مُبالغ بهم وبعد دقائق ليست قليلة. . سمِع نِداء المُمرضة وهي تقول -نور أحمد-.

قام وبدأ يُزيل حباتُ العَرق التي كادت تسقُط من جبينه من فرط التوتر. . حاول أن يجعَل خطواته مُستقيمة قدر الإمكان ثُم فتَح الباب وترجَل للداخل!

نظر لهُ الدكتور وهو يبتسِم في هدوء ويقول:

- ماذا هُناك ليجعلَك متوترًا إلى هذا الحَد نحنُ هُنا فقط لنتحدَث سويًا، اجلس سأجلِبُ لكَ كوبًا من عصير الليمون. .

أتى لهُ بكوب والابتسامة لا تُفارق وجههُ:

- سيعجبُك ويجعلَك أفضل،.

تجرَع الكوب على مرةً واحدة وهو يتفحَص المكان. . العيادة بها ضوء خافت يبعَث الطمأنينة في النفس، وهُناك ماكينة مُخصصة لعصير الليمون المُنعش وشهادات كثيرة مُعلقة على الحائط، وفقط الكُرسي المُسمى بـ- الشازلونج- والمكتَب والكُرسيان الذين يجلسون عليهُم ودولابٌ صغيرٌ مُعلق في الحائط بجانب الدكتور ويبدو أنه يضع فيه الأشياء الطبية.

نظَر إلى الأرض بألم وبدأ يتحدَث:

- أتعلم معنى أن يتخلى عنَك الجَميع فقَط يقولون لكَ إنهم دائمين وألا شيء سيجعلهُم يبتعدون، يرتدون قِناعا سخيفا ويسمعونَك أنتَ وأحاديثَك المُملة وآلامك والتُرهات التي تتفوه بها عن الانتحار، يبتسمون في شفقة ويحاولون التهوين عليك. . وعندما تختلِف معهُم في أمر تجدهُم أول من يرحلون!

بدأ يبكي ويتشنَج وهو يصيح:

- جميعهُم يرحلون جميعهُم بلا استثناء. .

فشَل الدكتور في تهدِئته وهو في حالة غريبة ومُتعبة لا يستمِع لهُ وقام وبدأ يُحرك يديه بعشوائية، قام الطبيب وهو لا يقول سوى:

- اهدأ كل شيء سيكون على ما يُرام. .

وبدأ يفتَح الدولاب المُعلق فوقُه ليخرج حُقنة مهدئة وأمامه، المريض ينفعِل أكثَر!

ولكنهُ وهو يبحَث في الدولاب لَم يشعُر بشيء سوى دم ساخن يتدفَق من رقبتهُ ببطء وبدأت الرؤية تتضعف وتهتَز أمامهُ. . ينظُر إلى الخلف ويرى -نور- يقبُض يده على شيء غير ظاهر تمامًا، يراه على هيئته الجديده ينظُر له وهو يبتسِم بسخرية، خانتهُ عيناه وتخلى عنهُ جسدهُ وسقَط جثة هامدة جاحظ العينين. . اقترب منهُ وهو مازال على ابتسامته ثُم جثى على رُكبتيه وهو مازال ينظُر لهُ بتمعُن وبدأ يرسِم شيئًا بالدِماء ثُم قام وقَد تغيرت تعبيرات وجههُ تمامًا إلى الارتباك والخوف الشديد ومضى خطوات بسيطة إلى أن أُصبح خارج الغُرفة وهو يُسير بخطى مُرتبكة وهادئة ويحسب خطواته، كان في الخارج وقد التقطت أذناه الممرضة وهي تُصيح باسم التالي، أصبح خارج العيادة بالفعل وبدأ يُسرع في خطواته ذهَب إلى الأعلى

وهو يُزيل قناع الذي يضعهُ على وجهُه وقَد ظهَر شخصٌ آخر تمامًا وفي عجلَة من أمرُه بدَل ثيابِه وهو يُسمع أصوات صياح وهرَج ومرَج في الأسفَل. . سار بخطى واثقة بلباسه الكلاسيكية وفي يده حقيبة طبية يهبِط إلى الأسفل في هدوء واتزان، والمكان مُكتظ بالبشَر رحَل وهو يستمِع للعديد من الأصوات العالية والذين اكتشفوا الواقعة. . خطى بقدمه إلى خارج العِمارة وهو ينظُر إلى الأعلى ويرى الكثير من اللافتات لعيادات طبية ومهن أخرى ثُم عاد من حيثُ أتى. .

أشرقَت الشمس صباحًا وهو يجلِس يحتسي القهوة طيبة المذاق وينظُر إلى الجرنال ويقرأ الخبر المُحبب لقلبه -القتيل العاشر في بضعة أيام على التوالي حيثُ انتشرَت مؤخرًا الكثير من الضحايا ليس لهُم علاقة ببعضهم أحدهُم ضابط شرطي وآخر مُحامي ودكتور وهُناك أطفال ونساء يبدو أن هذا فعل إرهابي لشخص وراؤه أناس أولي نفوذ نفس القاتل المُحترف الذي يترُك رمز السلام بالدم قبل رحيلُه- وهُناك ثرثرة أخرى أنهم سيعرفونه قريبًا ابتسم باستهزاء ونظر لبعض الأشخاص وقال: يظنون أن هذا آخر المطاف لكنهُم لا يعرفون أنها فقط. . البداية!

ميم

****

وسام جمال البلاط

غالية بنت أمي

استيقظت ذات ليلة على أمر لم أرَ مثله قط طوال إحدى وثلاثين سنة، كنت وقتها في السابعة والعشرين من عمري وكنت لا أزال متزوجا حديثا لم يفت سوى شهرين ونصف على زواجي، سمعت صوت الهاتف الخاص بي الذي تركته فوق المنضدة في غرفة الجلوس ليلة أمس، بعد عناء يوم شاق من أيام العمل التي لا تنتهي أبدا، خاصة في بلادنا، فالعمل في بلادنا لا ينتهي حتى بعد انتهاء وقته، خاصة وإن كنت تعمل في مجال المبيعات، فربما يرن هاتفك في أي وقت ليطلب منك أحد العملاء طلبية ما.

رن الهاتف فاستيقظت مغلق العينين أحاول جاهدا أن أعي أنه يتوجب عليّ التوجه إلى غرفة الجلوس للرد على ذلك الهاتف اللعين. . . بعد محاولات للإفاقة مع استمرار الهاتف في إصدار تلك الرنة البغيضة التي لا تكف ولا يكف المتصل عن مواصلة محاولاته. . . توجهت متأففا إليه، لأجد اسم أمي يظهر جليا على شاشة الهاتف، انخلع قلبي من مكانه. . . ماذا تريد أمي في هذا الوقت المتأخر من الليل، كان الوقت يشير للثانية بعد منتصف الليل، هممت بالرد لكن لم أستطع لانتهاء مدة محاولة المتصل، مسرعا حاولت الاتصال بأمي وقلبي لربما تسمع جدران الغرفة نبضاته جيدا وعقلي لا يكف عن سرد آلاف بل ملايين الاحتمالات التي يمكن أن تكون. . . أهو أبي قد حدث له مكروه أم أختي أم إنه أخي الأصغر الذي لا يكف دوما عن افتعال الأزمات كونه الابن المدلل لدى والدي أم إنه أحد الأقارب قد وقع في أزمة ما أم توفي جدي الذي يرقد منذ فترة على فراش الموت. . .

مرت دقيقة كألف. . . ردت أمي بعدها تبكي وتنتحب، لا أفهم منها غير أن أختي لديها غدا امتحان اللغة العربية في السنة الثانية من المرحلة الثانوية.

المرحلة الثانوية! كيف!! أي امتحان وأي مرحلة!! عمَّ تتحدث أمي. أختي الآن في السنة الأولى من كلية التربية. أمي تهذي أم هذا مجرد حلم لا أكثر، تركت الهاتف لبرهة لا أعرف ماذا يحدث، لا أستوعب ما قالته أمي، أفقت على صوت نحيب أمي تذكرت أنها لا تزال على الهاتف، التقطت الهاتف مرة أخرى، طلبت من أمي أن تهدأ وتشرح لي على مهل ماذا يجري لأني لا أستوعب أي شيء. استأذنت منها بدقيقتين أغسل بهم وجهي. فعلت ثم عدت لأمي التي لازالت على الجهة الأخرى من الهاتف، سألتها ماذا هناك، وما علاقة أختي بالمرحلة الثانوية مرة أخرى، طلبت منها أن تهدأ أولا. .

انتظرت أختي ذات يوم خروج أبي صباحا إلى عمله حيث إنه يعمل مهندسا في إحدى شركات الإنشاءات الكبري، انتظرت إلى أن خرج. . لتدخل على أمي غرفتها لتخبرها أنها عزمت أمرها على إعادة الثانوية العامة مرة أخرى، فزعت أمي مما سمعت كأن مستها الكهرباء، فانفجرت كالبركان في وجه أختي، ألا يكفيكي ما حدث. . . وذلك المجموع الذي لا يليق بك أبدا، أتريدين نبش النيران مرة أخرى، يكفي ما حدث، لو علم أبوكِ ما يدور في رأسك لكسر بها جدران المنزل، انسي هذا القرار. . لا لن أخبر أبي. . وأنتِ كذلك لن تخبريه، كانت تتحدث بصوت ثابت لا يشوبه أي قلق على الإطلاق واثقة مما تقول وكأنما متخذة القرار بدون أي تراجع أو تهاون فيه، حاولت أمي أن تتمالك أعصابها، وأن تحدثها بعقلانية أكثر وأنه من غير المعقول أن تضيع ثلاث سنوات من عمرها في شيء لا أحد يعرف نهايته غير الله، عصفور في اليد خير من ألف على الشجرة يا بنيتي، فلتحمدي الله على ما في يدك ولتجتهدي فيه، ولا يعلم أحد قد تكونين ما تتمنين في هذه الكلية. . حتى وإن أنا وافقتك على ما تقولين، فمن أين لنا أن نجرؤ على إخبار أبيكِ

بهذا، أنتِ تعلمين أنه لو سمع ما تقولين فسيطير عقله من مكانه ولا يعرف أحد ما قد يصيبه، وما قد يفعله، فلتعدلي يا حبيبتي عمّا تفكري به. . .
التمعت عيني غالية وتزاحمت العبرات في مقلتيها تريد أن تجد الطريق للعبور بعيدا، احتضنتها أمها كإذن لها أن تبكي كما تشاء في حضنها، انتحبت كثيرا ظلت تبكي حتى اكتفت. . . أمي أنا لا أجد نفسي هنا أنا واثقة من أنني أستطيع فعلها، أقسم لكِ أني ظلمت في المرحلة الثانوية، ورغم ذلك صبرت لكني لا أستطيع الاستمرار أكثر من ذلك في حياة لا أريدها. . أنا أثق بكِ وأعلم أنكِ لن تتخلي عني أبدا، دعوت الله كثيرا أن يلهمني الخير وها أنا أشعر بالخير في ما أريده، أريد منكِ فقط أن تؤمني بي لا أريد أكثر من ذلك لا أريد سوى ذلك يا أمي، ثقي بي وكوني لي ظهرا أحتمي به وكتفا أستند عليه إذا أحسست أني أميل، وأبي. . لا تخبريه الآن وليبقى الأمر سرا بيننا. . . حتى محمود لا تخبريه الآن، لا أتوقع أنه سيوافق على هذا.
امتقع وجه أمي لا تعرف ماذا تفعل، أتلبي لها ما تريد وتكون بجانبها وليعينهم الله على تلك الخطوة غير المدروسة جيدا، وحتى وإن كانت مدروسة فنحن في بلد لا نعرف فيها ماذا يخبئ لنا الغد، كل يوم هناك قرار جديد لا أحد يعلم عنه شيئا، أم ترفض وتريح عقلها من كل هذه الأعباء التي لا تقدر وحدها على حملها، خاصة وأن أبي لو علم ستكون طامة كبري، أتذكر حزنه الشديد بعد ظهور نتيجة المرحلة الثانوية، وقتها لم يجرؤ أحد منا على محادثته ولا حتى استطاع أحد النظر في وجهه من شدة الغضب الذي كان يسيطر عليه، ظل في غرفته لا يفارقها أبدا إلا عندما يخرج للصلاة، غالية ذات معزة خاصة لدى أبي، لا أحد ينكر ذلك ولا أحد يتأفف من هذا، هي ذات معزة خاصة لدينا جميعا، وكانت ثقتنا فيها وخاصة أبي تفوق

كل الحدود لذلك عندما أتى مجموع الثانوية العامة مخيبا للآمال، ظل أبي منعزلا فترة من فرط الحزن الذي خيم عليه. . قررت أمي أن تستفتي قلبها وكما تقول دائما إذا أحسست بالتيه فاستفت قلبك فإنه لا يخطئ أبدا، فالقلب في عتمته يرى النور جليا، طلبت أمي منها مهلة لتتخذ قراراها ولتكن إلى آخر اليوم.

****

ظلت أمي طوال اليوم تفكر ولم يهدأ لها بال، تصلي وتدعو الله أن يلهمها الصواب، أتى أبي في المساء، لكنها كانت حريصة على إخفاء كل شيء حتى حيرتها، إلى أن طرقت غرفة ابنتها لتدخل عليها وقد عزمت أمرها، هل تعرفين أي الإجراءات سنتخذ أم سنسأل أولا، تهللت أسارير غالية وارتسمت دموع الفرحة على خديها، فاحتضنتها الأم. . ليس الآن. . . الفرحة لن تكتمل إلا بعدما ننجز كل شيء. . . لتنامي الآن وغدا يقدر الله ما يشاء.

لم تستطع غالية النوم في هذه الليلة ظلت مستيقظة حتى ساعات الفجر الأولى، قامت لتتوضأ وتصلي ركعتي قيام الليل، دعت الله كثيرا أن يلهمها الخير لم تدعُ بأكثر من هذا أن يرضى الله عنها ويرزقها الخير انتهت من صلاتها ثم ظلت تقرأ في كتاب الله المجيد إلى أن سمعت أذان الفجر يعلو من المسجد القريب أن الله أكبر من كل شيء فلا يعجزه شيء لا في الأرض ولا في السماء فاطمأن قلبها لذلك النداء إن الله اكبر من كل ما يشغل فكرها، فتحت البلكونة لتستمع إلى الأذان في حضرة نسائم هواء الفجر، دخلت تصلي بانتهاء الاذان، صلّت جيدا، وأطالت في السجود كأنها لا تعرف قياما، ظلت تدعو وتدعو، كانت تعلم ماذا ستفعل لكنها كانت قلقة من أن ترفض، لا تضمن أي شيء سوى وجود الله بجانبها ووجود أمها وهذا يكفي.

في السابعة والنصف صباحا وبعد نزول أبيها أيقظتها أنها التي لم تستطع النوم بدورها وظلت قلقة لما بعد الفجر فقد غفت ساعة لا أكثر. . قامت غالية يدب بها النشاط كأنها لا تريد النوم أبدا، جهزت نفسها ثم أخذت ما يلزمها من الأوراق، احتضنت أمها عند الباب وشكرتها دون كلمة شكر على ثقتها التي أودعتها إياها.

****

وصلا إلى مديرية التربية والتعليم التابعة لها. . . أنهوا جميع الأوراق التي تثبت حقها في التحسين على سنتين في المرحلة الثانوية، ثم ذهبوا إلى المدرسة التي ستقدم بها تلك الأوراق لكنها لم تكن مدرستها القديمة فهي لا تريدها لما قد تلقاه من مضايقات هناك، ومخافة أيضا أن يعلم والدها أو يوصل إليه أحد أيا كان تلك الاخبار، قدمت أوراقها في مدرسة أخرى بعيدة خارج نطاق سكنها بالكامل كي تظل بعيدة عن الأعين، في البداية قلق مدير المدرسة وظن أنها مفصولة من مدرستها وتريد أن تقدم هنا فكاد أن يرفض لولا تدخل الأم التي أكدت له أن الموضوع ليس هكذا وشرحت له الموقف بالكامل، فتعاطف معها وقبل أوراقها على الفور.

مرت السنة سريعا بين غالية الطالبة بكلية التربية الفرقة الأولى وغالية الطالبة بالسنة الثانية للمرحلة الثانوية، تذاكر هنا ما يكفيها للنجاح وتذاكر هنا بكل ما أوتيت من قوة كي تحقق أعلى الدرجات ولا تخيب ثقة أمها أبدا.

لم تستطع أمي أن تظل كاتمة ذلك الحمل دون إخبار أحد فاضطرت لإخباري ليلة أول امتحان، حاولت قدر الإمكان تهدئة أمي وأن بإمكاني أخبار والدي لكنها أصرت على عدم إخباره الآن، طمأنتها قدر استطاعتي وأخبرتها بأنني

سوف أحضر مع غالية جميع امتحاناتها فلا تقلق، ولتدعو الله أن ينهيها على خير.

. دخلت امتحان السنة الثانية من الثانوية العامة فيما اضطرت لتأجيل بعض المواد في الكلية لتضارب مواعيد الامتحانات هنا وهناك، لكن ما صبرها تلك الدرجات العالية التي أتت بها ف امتحانات الثانوية، لكن تلك السنة لا تحتسب لأن الشهادة تحتسب على السنة الأخيرة لا أكثر، لكن وحتى إن كانت فإنها تعتبر دفعة معنوية لغالية، وخطوة تثبت لنا أن الخير قادم لا محالة وتطمئن قلب أمي نوعا ما

بالنسبة لي لم أكن على قدر عال من الثقة بغالية بل إن ثقتي بما تفعله كانت مهزوزة جدا، لكن كنت أفعل لكي أطمئن أمي وأشجع غالية حتى وإن لم أثق بها بقدر كاف، فلو طلبت منك المساعدة فساعد حتى ولو بالكلام حتى وإن لم يعجبك ذلك الفعل أو لم تثق في فاعله تمام الثقة، من المهم أن يشعر بمن يشجعه. . . أما أمي فلم أرَ مثل إيمانها أبدا، كانت في بادئ الأمر أحيانا تخبرني بخوفها بألا تكون غالية بقدر كل هذه الثقة لكن يوما بعد الآخر كانت تؤمن بها أكثر وأكثر إلى أن جاءت النتيجة ومنذ ذلك اليوم وهي تثق بها تمام الثقة، كانت تمشي وراء أي شيء تقوله غالية مهما كان، أودعتها ثقتها فلم تعد تخاف مغبة أي شيء قد يحدث، إيمان رهيب ألهمها الله إياه، فأودعه في قلبها إيمانا راسخا لا يتزعزع ولا يتحرك مثقال ذرة. . . إلى أن جاء يوم لم يعد له جيدا، قرار لم يخطر على بال أي منا، صدمت غالية لكن لم يتحرك جفن أمي، كأن القرار لا يخص غالية أبدا. . . أقرت الوزارة بأنه لا يحق لأي طالب حاصل على الثانوية العامة أن يعيد تحسينها مرة أخرى، من المفترض أن هذا القرار لا يسري على غالية لأنها قد أتمت سنة

مسبقة وهذا القرار ينفذ على من يرغب من الطلاب الجدد الذين يريدون ذلك أما غالية فلا تفصلها سوى أشهر قليلة عن الامتحان. . كما حدثت مشكلة أخرى وهي أن الموقع الإلكتروني لا يستجيب ولا يوجد هناك رقم جلوس لها وذلك يعني أن القرار سيطبق عليها هي الأخرى، كادت غالية أن تجن، شت عقلها، لم تتوقف يوما عن البكاء. . . لكن أمي ثابتة كشجرة عتيقة لا تزعزعها أي رياح كانت أو عواصف، ثابتة هي مرتفعة الرأس تميل أغصانها مع الرياح لكنها لا تسقط أبدا، شجرة عتيقة ضربت جذورها في جوف الأرض فلم يعد هناك ما يرهبها أو يزعزع ثباتها، كانت تدعو الله وهي موقنة أن الله سيستجيب، لم تفكر يوما عكس ذلك كانت موقنة تمام اليقين أن الله لن يضيع تعبها وسهر ابنتها أبدا، الله عدل لا يظلم مثقال حبة من خردل، كانت لا تبكي أمامنا أبدا لكن كانت تتضرع في جوف الليل وتبتهل إلى الله أن يعينها على ذلك الحمل ويمنحها القوة على تجاوز هذه المحنة وأن يظللها برحماته ويرضى عما تفعل، فهي دائما تقول إن الرضا أصل كل شيء، إذا رضينا أرضانا الله وإذا أرضانا أعطانا كل شيء.

أخذت تجول هنا وهناك من مكان إلى آخر، حتى ذهبت إلى الوزارة نفسها وقدمت كثير من الشكاوى، لكن كانت دون جدوى. . الامتحانات تقترب ولا أحد يعرف مصير غالية إلى أين، لكن كانت هناك ثقة بأن الله لن يخذلها أبدا.

كنت اقول بيني وبين نفسي من المستحيل أن يأخذ أحد من حكومتنا ما يريد، التظلم يمكن أن يموت صاحبه ولم يتخذوا فيه أي قرار، لكن كنت أرى الإيمان في عيني أمي وعيني غالية يكذبني دوما، يفضح اهتزاز إيماني بأن الثقة بالله تفوق أي ترتيبات وأي قرارات وأي وزارات. . إلى أن جاء يوم

قررت فيه أمي أن ترفع دعوى على الوزارة نفسها، طبعا أبي كان خارج كل هذا ولو علم بما يحدث لمات بيننا دون كلمة واحدة، لكِ كل الفخر يا أمي على تحمل كل تلك المشقة، أمي ستشكو الحكومة إلى الحكومة، دعوت الله أن تكون العواقب وإن أتت فلتكن خفيفة علينا، حاولت أن أمنع أمي في بادئ الأمر وأن تكون غالية قد فعلت ما عليها لكن هذه إرادة الله، أخبرتني إن كانت غالية فعلت ما عليها فتبقى دورنا لنفعل ما علينا أيضا. . ولكنها الحكومة يا أمي. . ولو كان من، سأفعل أي شيء لتتمكن غالية من تحقيق ما تريد، الله مع الحق دائما ونحن على الحق. .

ذهبت أمي إلى أحد المحامين الذين لهم باع في ذلك التخصص، لم يهمها أي أموال، قالت إنه حتى وإن صرفت كل ما تدخره لما تراجعت لحظة واحدة، غالية كان يضعف إيمانها أحيانا وتريد أن تستسلم لكن الإصرار التي كانت تراه في عيون أمي يرهبها أن تتفوه بحرف واحد في وجه أمي عن الاستسلام، كانت أمي حازمة أمرها لا تراجع أبدا، إما النصر أو النصر، وكأنها معركتها الخاصة. . .

ظلت تحاول إلى أن جاء اليوم التي رجعت ومعها رقم الجلوس والفرحة تملأ جنبات وجهها، فرحت غالية كثيرا كاد أن يغشى عليها من فرط الفرحة، أما أنا فلم أكن أصدق أي شيء، هناك أشياء تحدث أحيانا فوق مستوى العقل، أشياء تلهمنا أن الله أكبر لا يعجزه ما يريد. . ألا يكون هناك أمل أن تدخل الامتحان ثم فجأة تختفي كل تلك الصعاب واحدة تلو الأخرى إلى أن يتهيأ كل شيء فهذا ليس لنا يد فيه إطلاقا.

****

كنت لا ازال في العمل عندما رن هاتفي. . . إنه أبي، طلب مني الحضور

إلى المنزل في أسرع وقت ممكن وصوته يملؤه الغضب، توقعت كل شيء إلا أننا قد كشفنا لا أدري غباء مني أم ماذا، على أي حال ذهبت إلى منزل أبي، فتحت الباب لأجد أبي جالسا على الكرسي بوجه شاحب تكسوه الحمرة الباهتة وفي يديه ورق هيئ لي أنه ورق الدعوى التي قد أقامتها أمي على الوزارة، من المؤكد أن اسم أبي يزين الدعوة لكونه أباها فكل شيء كان باسمه ليس باسم أمي، عرفت فيما بعد أن أخي الأصغر قد أعطاه إياه عندما وقع في يديه وهو يبحث عن كتبه التائهة وكأن كتبه لم يحلُ لها التيه إلا في غرفة غالية، على أي حال عثر على هذه الأوراق وقرأ ما فيها ولم يفهم أكثر من اسم أبي ولم يتوان بالطبع بأن يهديها إلى أبي فهي ضائعة منه، مادام يعلوها اسم أبي فهي تخص أبي، تبا له ولسذاجته.

أبلغني أبي بما أعرفه مسبقا، اندهشت كأني لم أعرف شيئا عن هذا من قبل، تبدلت ملامحي وأخبرته أن هذه الفعلة يجب أن يعاقب فاعلها، أتت أمي من الخارج هي وغالية، فنظر إلى غالية نظرة كادت أن تموت في مكانها من هولها، أخبر أمي بما تعرفه مسبقا لكن أمي فعلت كما فعلت، نظرت أنا وأمي إلى غالية وفي نفس واحد بصوت فيه من الحزم ما يكفي: ليه كدا يا غالية عملنالك إيه عشان تعملي كدا. . نظرت غالية الينا وكأنها تقول لنا -يا ولاد الكاااااالب-.

كان لابد أن تكون هناك ضحية هذه الليلة وبدون اتفاق مسبق بيني أنا وأمي قررنا أن تكون غالية، لو علم أبي أن أمي هي من فعلت لكانت الآن تسكن بيت جدي تنتظر نفقتها تأتيها كل شهر ونحن بين هنا وهناك، ولو أن أبي علم أني شريك في هذه الجريمة في نظره لكنت مطرود من جنته ليوم يأذن لي بالعودة ولا أحسبه قد يكون قريبا أبدا، لا أستطيع أن أحكي لكم كم كان مقدار ركض أبي خلف غالية في المنزل ليلتها. . هدأ أبي نوعا ما بعد

رضائه ورضائنا عما نالته غالية تلك الليلة

****

حسم أبي أمر كل ما يحدث بأن ليس هناك ما تحلم به غالية، وينهار المعبد على من أقامه، لا امتحانات ولا ثانوية ولا نقاش في ذلك، لم يستطع أحد منّا أن يتفوه بشيء، ظل الجميع في وجوم مطبق، لا أحد يتكلم لا أحد يأكل لا أحد ينظر إلى الآخر. . .

عدت إلى منزلي لأجد زوجتي لا زالت مستيقظة، قصصت عليها ما حدث، حاولت أن تطمئنني وأنه يجب أن نحدث أبي ونقنعه أن يحيد عما يريده فلم يعد على الامتحانات سوى وقت قصير، ولو لم تأتي غالية بمجموع عال فليفعل ما يريد. . .

ذهبت في اليوم التالي بعد انتهاء العمل إلى أبي بعدما فت أولا على زوجتي لأخذها معي، تناولنا الغداء سريعا ثم اجتمعنا أنا وأمي وزوجتي لمناقشة أبي في أمر غالية، كان لا يزال مصمما على رأيه في بادئ الأمر إلا انه بدأ يقتنع بما نقوله شيئا فشيئا، لكن مع تعهدنا بمجموع كبير يرضيه، أخبرنا غالية بما دار فتعهدت أن تبذل أقصى جهدها كي ترضي أباها.

لكن ما زاد الطين بلة أن أحد أقاربنا كانت ابنته في نفس المدرسة التي قدمت بها غالية، كان قريب من بعيد لا أتذكر انه قد زارنا يوما في المنزل أبدا، لكنه كان صديق مقرب من عمي رضوان، والذي علم بمحض الصدفة العجيبة بأن غالية تدرس هنا كي تحسن درجاتها في الثانوية العامة، فأخبر عمي الذي لم يتوانَ عن إخبار أبي بما عرفه مما زاد أبي حنقا على غالية وجفاء عليها.

ظل أبي لا يحدث غالية ولا ينظر إليها ولا يجالسها مجلسا أو طعاما، حتى

أمي كانت تنالها نوباته أحيانا لشكه أن لها يد لكن دون دليل منه على ذلك، اجتناب أبي لغالية كان وقعه أليما جدا عليها، لم تلقَ منه جفاء أبدا قبل ذلك، وهو الذي يدللها دائما كونها الابنة الوحيدة له، ومن بعدها مالك ذلك الساذج الصغير طفله المدلل حتى عندما وصل الرابعة عشر من عمره، أما أنا وكأنني ابن البطة السوداء. . . ما علينا لا يهم الآن، بالتأكيد عمي رضوان لم يفوت هذه الفرصة، انتهزها على أكمل وجه لإفراغ ما في جعبته من سموم وبثها في قلب أبي تجاهنا، فهو دوما كذلك خاصة تجاه أمي، لكنه رغم الفارق الكبير بيني وبينه إلا أنه كان يخشاني لأنه يعلم أني لا أترك له المجال ليفصح عما يريده تجاه أمي فأكيل له بما يكيل حتى ينتهي مغتاظا، نهرني أبي ووبخني بأنه لا يصح، أخبرتهم جميعا بأن غالية ستنجح وبدرجة تفوق تخيلهما، ظل يبرم لكي يجعل أبي يحرمها من دخول الامتحانات كعقابا لها، كي تعرف خطأ ما فعلته، ولولا وجودي لكان استجاب أبي لسمومه تلك، وقفت منهيا ذلك النقاش مستأذنا أبي أن غالية ستكمل ما بدأته حتى وإن كانت وقعت ف الخطأ فإنها لم تقصده على الإطلاق.

****

أتت الامتحانات سريعا، كان أبي يطمئن على حال غالية مني دون علمها، هي فتاته لكنه مجروح مما فعلته من وراء ظهره لكنها ستظل فتاته دوما. أمي لا تتوقف عن الدعاء أبدا، تدعو الله في كل صلاة أن يوفق غالية ولا يحرمها ما تريد ولا يشمّت فينا من يريد لنا الهلاك. . كانت غالية تجتاز الامتحانات الواحد تلو الآخر إلى أن جاء موعد النتيجة. . وكان ذهول الجميع.

غالية راضي عبد المجيد رضوان ٩٨٪

يمنى جاد

قابل للخلود

إلى ذاك الغريب الذي أضحكني يوم كنت حزينة بلا سبب والذي كلما تذكرته رغم مرور ما يزيد عن خمس سنوات أبتسم من قلبي لا إراديا، فلتسعد في حياتك بقدر السعادة التي أدخلتها - ومازلت- إلى قلبي. .

****

-من يسكن الروح كيف القلب ينساه؟!-

تجلس في ركن بعيد هادئ في ذاك المطعم المطل على النيل مباشرة والذي كانت تائهة في زرقته شاردة في رقصات حبات المطر الرقيقة على صفحته.
تعشق هذا المكان حد الجنون!
وكيف لا تعشقه وقد رأته وتحدثت معه فيه أول مرة؟
كيف لا تعشقه وكل ركن، طاولة، مقعد، وحتى تلك المناديل الورقية تذكرها به. . .
هناك أشخاص حين تمر بحياتك حتى وإن كان مرورا عابرا كرقصاته القصيرة على شرايين قلبها تشعر أنها تترك بصمة ثابتة لا تمحى بسهولة في روحك لدرجة تجعل جميع الجمادات حولك تكاد تنطق باسمه!
وكان هو أحدهم. .
عادت بذاكرتها للوراء قليلا، تحديدا إلى ذاك اليوم الذي رأته به أول مرة. .
كانت تجلس في نفس المطعم وكان اليأس يقترب إليها في كل ثانية تمر عليها بمفردها، فقد كانت على موعد مع من ظنته في يوم حبيب.
ثانية. . عشر ثوانٍ. . ستون دقيقة. . ساعتين. . خمس. . أين هو؟!
فرت دمعة وحيدة من عينيها وقد أخفضت رأسها إلى الطاولة حتى لا

يلحظها أحد وينظر إليها بشفقة هي في غنى عنها الآن.
لكن. .
وأثناء جلوسها حدث ذلك الشيء الغريب المصاحب لظهور الأشخاص المميزين في حياتنا، حيث تقدمت إحدى النادلات التي تعمل في المطعم إليها وعانقتها عناقا طويلا دافئا لم تنعم بمثله من قبل، شعرت بالبرودة تحتل أطرافها فور ابتعادها عنها، نظرت لها بتساؤل فابتسمت لها ابتسامة حنونة وهي تمد إليها منديلا ورقيا فنظرت له بتعجب إلا أنها أخذته في النهاية، وبعد أن قرأت محتواه ابتسمت بسعادة حقيقة وكأنها لم تكن على وشك البكاء منذ دقائق بسبب رؤيتها لما خطه ذلك الغريب، حيث كتب لها: عيناك رائعة للدرجة التي تجعلني أتمنى قتل من كان سببا في بكائها!
نظرت حولها بتفحص علها تستطيع رؤية صاحب هذه الأحرف التي دخلت قلبها مباشرة وبدون مقدمات ولكن هيهات فهو رحل بعدما اطمأن أنها استلمت رسالته.
ظلت تتردد على هذا المطعم كل يوم تقريبا على أمل رؤياه والشوق يكاد يفتك بها إلا أنه في كل مرة كان يترك لها رسالة ويذهب، وفي مرة من المرات قررت اتباع نفس منهجه وخطت على منديل ورقي: لو تعلم كم أحترق شوقا لرؤياك لم تكن لتختفي كل هذا المدة، لقد بت أشك أنك من وحي خيالي فقط لا أكثر، متى سأتمكن من رؤيتك؟
كان بداخلها شعاع بسيط من الأما يخبرها أن اللقاء قد اقترب لكن رده وأد هذا الشعاع قبل ظهوره حيث أخبرها: أفضل الابتعاد عن روتينية اللقاءات المدبرة وترك كل شيء للصدف. .
ومن يومها قررت -وكالعادة- اتباع منهجه.

وبعد أن كانت فقدت الأمل في رؤيته في الواقع واكتفت بما نسجته في خيالها اقتربت منها تلك النادلة صاحبة العناق الدافئ تخبرها بكل هدوء:
هل ستحضرين حفل خطبة أستاذ نور؟
فسألتها بتعجب: ومن أستاذ نور؟
فردت بذهول: معقول؟! هل حقا لا تعرفين من هو؟ يراسلك منذ أكثر من شهر ولا تعرفين حتى اسمه.
إذن اسمه نور. . اسم على مسمى فهو أنار حياتها بعدما ظنتها أعتمت، لكن. . عن أي خطبة تتحدث؟!
ظل هذا السؤال يدور في رأسها خلال أيام انقطعت فيها رسائله وانقطع معها أي أمل بداخلها للقائه واكتفت بتلك الصورة التي رسمتها له في خيالها، ووقعت في غرامها والذي يدعمه تلك الرسائل التي زودها بها قبل اختفائه.
حتى استيقظت من شرودها ذات يوم على ظل ضخم يقف أمامها ويحجب عنها الضوء فنظرت له بانزعاج فسارع هو بالتحدث قبلها: مرحبا يا ذات العيون الرائعة؟ كيف حالك؟
لم تأخذ الكثير من الوقت حتى تعرفه فلا غيره يتغزل بعينها. .
ولكن كيف له أن يسألها وبكل بساطة وكأن شيئا لم يكن؟
ألا يعلم كيف شعرت في تلك الأيام التي اختفى فيها فجأة؟
ألا يعلم كم دمر غيابه روحها وقلبها معا؟
على ما يبدو أن دقات القلب دائما لا تجلب إلا الشقاء وهذا أكثر شيء أصبحت متيقنة منه، حاولت قدر الإمكان أن تتمالك نفسها وهي ترد عليه: عفوا؟
تأملها ثانية قبل أن يقول: أعتذر يبدو أني مخطئ!

ورحل. . .
رحل بسرعة البرق كما ظهر فجأة. .
قد يعتقد أنها نسته، أو لم تتعرف عليه من الأساس ولكن إن كانت هي فعلت فقلبها لن يخطئه أبدا.
فقلبها سقط أسيرا لحروفه منذ الوهلة الأولى.
قد يكون رحل نهائيا بلا رجعة إلا أنه شخص قابل للخلود، شخص سيعيش داخل قلبها للأبد. تستطيع أن تحبه وحدها في صمت.
فهذا النوع من الحب أفضله، فلا يجلب الحزن أو الشقاء، ويجعلك تعيش كل ما تحلم به وتتخيله دون أن يعكر أي شيء صفو حياتك.
فلتحبه في خيالاتها إذن. .
فكم من شخص يحيا على تلك الخيالات!
وكم من عابر يترك أثرا لا يمحى حتى بمرور الزمن.
كانت مجرد رسائل عادية إلا أنها أدخلت السرور إلى حياتها كما لم يفعل أي شيء من قبل، قد يرجع ذلك إلى حاجتها الشديدة إلى السعادة أو قد تكون حاجتها للحب أو الاهتمام ولكن أيا كان السبب فذاك الغريب لن يستطيع أي شيء محوه من ذاكرتها، سيظل دائما يطوف بعقلها وقلبها معا هو وخيالاته التي نسجتها في أحلامها.
إن لم تمتلك تلك الخيالات التي تمدك بالفرح فلا تقف ساكنا واسعَ إلي بثها في أحلام غيرك. .
اسعَ لتكون شخصا قابلا للخلود حتى بعد فنائك. .

****

ريهام أحمد

مَلَك الموت + برومثيوس

برومثيوس

جلست أمام المشعل أرتجف من شدة البرودة التي صاحبتها أمطار عصفت بكل شيء. ورغم نار المشعل إلا أنني مازالت أستشعر البرد. بعد أن ذهب الجميع للنوم إلا أنا اعتدت السهر. نهضت أقرأ في إحدى رسائل الماجستير لعلي أجد عنوانا مناسبا لرسالتي.

نهضت بخفة لخفة وزني وما أن مررت حتى رأيت نيرانا عدت مسرعا فلم أجد شيئا، ما أن تحركت بعيدًا حتى وجدت النيران مشتعلة من جديد فهرولت إليها لم أجد شيئا. هكذا عشر مرات حتى رمقت الحجر الذي نضعه نزين به هذه الحجرة.

أحب الأشياء الطبيعية لحد لا يصدق فأجمع التماثيل وأضعها بحجرتي، ألصق أوراق الأزهار على الجدران، فحجرتي بها الكثير إلا هذا الحجر الذي جلبه والدي في إحدى أسفاره كنت أريد أن أضعه في حجرتي لكنه رفض بناء على رغبة أمي أن تضعه لتزين به هذا المكان.

حقًا كان حجرًا مميز تنظر له تشعر أنه يشع ضوءا ولهبا ساخنا لا لا ليس ضوءا لا أعرف. بعد أن ينام الجميع أجلبه أتأمل هيئته الساحرة وفي كل مرة تكتشف أمي ذلك تعنفني بشدة لكني لا أهتم الأهم أنني فعلت ما أريده. أحضرت الحجر أتأمله بجوار المشعل لامعا براقا، حين تتأمله من بعيد تشعر بأن به نيران مشتعلة أحد يتحرك فإنه حجر ساحر ساخن لا أعلم ربما مجرد ظنوني أنا فقط. أخذت أقلب فيه أتأمله بشدة فرفعته في إضاءة المصباح وكنت أجلس قريبا من المشعل وهو بمحاذاته فلاحظت

انجذاب الحجر من يدي للنيران.
حركة لم أفعلها بيدي شعرت أن أحدا يحرك يدي يقترب من النيران حينها ازداد وهج الحجر لذلك لم أحتمل درجة حرارته المرتفعة فسقط أرضًا لكنه كان متماسك لم يتحطم وإلا وكانت حطمت أمي رأسي مثلما تحطم.
نهضت أستعيد الحجر من موضع سقوطها لكني وجدته متوهج أكثر لتعرضه للنيران كنت أظن أن بداخله نارا أو أحدا مسجونا بقيود فحين سقط برقت عليه أحرف غريبة لا أعرفها وهي(Ἡρακλῆς) ما معناها لا أعرف؟ بل السؤال السليم ما لغتها؟
أظنها هيروغليفية لا لا أنا درست تلك اللغات بالجامعة يمكنني معرفتها، ليست لغة مصرية أو بالأحرى عربية ولا أيضًا لغة عالمية مستخدمة الآن.
أظنها لغة قديمة لاتينية ربما، رومانية أو يونانية شيء من هذا القبيل.
إن هذا الحجر زاد اشتعال النيران في المشعل بشكل غريب جعلني أرتجف فنهضت صارخة خوفًا أن أحترق. هكذا أنا أنقب عن المشكلات تنقيباً هكذا كانت تقول لي أمي دائمًا لكني اليوم أصدق على حديثها. في كل مرة أتعرض لمشكة أكبر من سابقتها ومع ذلك لا أتراجع عن سلوكياتي العجيبة.
وقفت أتأمل كل شيء أدعو الله إلا تستيقظ أمي الآن إلا ووضعتني في النيران وجدت أن النيران تزداد والحجر يتوهج أكثر فأكثر. أحضرت ماء وسكبت في المشعل وكعادتي لا أفعل شيئا إلا وأصحبه بكم هائل من المشكلات أتلفت كافة الأغطية الأرضية. نظفت ما استطعت منها لكن الحجر الذي انطفأ مع انطفاء النيران أخذ لبي. نهضت أبحث عن معنى الأحرف التي نقشت غائرة على الحجر (Ἡρακλῆς) أن يظهر معنى لا لم يظهر شيء.
لكن الخطأ ليس في مؤشر البحث إنه في عقل من تكتب على مؤشر البحث.

أخذت أسرد اللغات القديمة كلها ما أعرفه وما لا أعرفه لم أنم قبل أن أعرف معنى هذه الكلمة أظنها تصل بي إلي حقيقة هذا الحجر. بعدما أرهقت ولم أصل لشيء أخذت أتأمل الحجر الذي تبرز هذه الأحرف فيه في النيران لكن المنزل بأسره نائم أشعر أنني سأجعلهم لحمًا مشويا.

بالفعل هذه المرة أشعلت المشعل ووضعت الحجر بداخله وما أن وضعته حتى انفجر المشعل والتفت النيران حولي تحطم الحجر خرج منه مارد أضرم النيران في كل شيء لشدة النيران وارتفاعها لم أكن أرمق أمامي وجوم تام اعتراني حينها. أنا وسط حلقة من النيران المشتعلة التي تعلو قصري بكثير وتفوقه.

أقسم إن مت ودلفت للنار لن تكون بحجم هذه النيران والغريب ورغم شدة اقترابها مني إلى حد أنها كانت تلامسني إلا أنها لم تحرقني كنيران سيدنا إبراهيم (عليه السلام) هل أنا مبروك إلي هذا الحد؟ بديهي لا أنا أفعل مشكلات بعدد شعر رأسي إذن هناك لعنة علقت بي أم السر في هذا الحجر وأنا بجهلي أتلفت كل شيء. سمعت صوتا للنيران يقول برو. . مث. . يوس ويكررها وأنا لا أفهم شيئا.

لكني تذكرت أن هذه الكلمة نقشت أعلى الكلمة الأخرى التي لا أفهم دلالتها ثم قال كلمة أخرى يبدو أنها الكلمة التي أسفلها. شعرت بعدها أن النيران تحدثني تربت عليّ لا أعرف ماذا قدمت لها من فعل حسن كل ما أعرفه أن عائلتي أصبحت لحما معدا للطعام لا محالة احترقوا. تارة أخرى تقترب النار تحتضني كأنها تقدم لي شكرًا على معروف صنعته ربما لأنني أضرمت النيران بالمنزل. حينها تذكرت أن الأحرف التي لا أعرف معناها رأيتها في إحدى كتب التاريخ وأن الكلمة (Ἡρακλῆς) تعني هرقل

أعرفه لكن ما علاقته برومثيوس هناك سر.
تحدثت النيران تعظم اسم (Ἡρακλῆς) لم أكن انتبه إلى أن هناك نسور تنهم من النيران فيخرج فمها ملطخ بالدماء ما هذا لا أعرف، نيران تخرج دما وكلما اقتربت هذه النسور صرخت النيران بصوت كالشهقة أفزعني أرتجف صراخ شديد لكن لا صوت يظهر لي لعلو صوت النيران.
النيران تجل وتكرم اسم هرقل كأنه إله أو معبود له محرر لها من كل هذا.
لا أعرف كل ما أذكره أن دراسة التاريخ أفسدت عقلي تمامًا.
أخذت أكرر برومثيوس ماذا تعني هيا تذكري، النيران تكاد تلتهم كل شيء. . . . . بعد وقت طويل فدائما ما تتوافر صفتان فيّ هما الغباء والنسيان وأنا لا أنسى إلا في الوقت الذي من المفترض فيه أن أتذكر. ها قد تذكرت برومثيوس مارد النار الذي تمرد فشده كبير الكهنة على إحدى أحجار القوقاز فحرره هرقل إذن عرفت لما يبجل هرقل لأنه حرره لكن النسور هيا تذكري. . .
المهم أنني كيف أعيد المنزل على ما كان عليه عليّ أن أفهم بسرعة وهذا أمر محال عليّ ماذا أفعل؟ الحجر لم ينفجر في المرة الأولى لماذا رغم التهابه؟ وتفجر في المرة الثانية نظرت له فوجدت حروف اسم هرقل تحولت إلى اللون الأحمر عليّ أن أعيدها إلى ما كانت عليه فضي لامع فقط. كي ينصرف هذا المارد الذي يحيط بي لكن كيف؟النسور ما سر النسور أظن اللعنة مازالت موجودة وإلا ما استدعت النيران هرقل ليخلصها. إذن إن تمكنت النسور من تناول النيران بإمكاني الإفلات وإنهاء كل شيء.
ازداد حديث النيران مستغيثة باسم هرقل قبل أن تفنيها النسور. لكني لاحظت تجددها ثم تفانيها إذن عليّ أن أختار الوقت المناسب للهروب وبالفعل عند قرب تقاطع انتهائها وتجددها تمكنت من الهروب وكعادتي

سقطت أرضًا. نهضت مسرعة بعيدًا أحضرت ماء حين عدت وجدت النيران ملأت كل شيء واختفت النسور. يبدو أن النيران نجحت في استدعاء هرقل ووجدت الحجر ساقطًا فأمامي محاولة إما أن تنجح أو أتحول كباقي العائلة إلي لحم مشوي.

سكبت الماء على الحجر الذي عاد بريقه باختفاء النسور حينها تذكرت أن النسور هي لعنة كبير الكهنة على مارد النار بروميثوس وهو سلط النسور عليه أن تلتهم كبده حتى حرره هرقل من صخور القوقاز لكن على ما يبدو ظلت اللعنة بهذه الصخور. انطفأ كل شيء وعاد الحجر متماسكًا حقًا مارد لعين.

حينها استيقظت على صوت أمي: ألا تذهبين اليوم للجامعة؟

ابتسمت: كل يوم أذهب أنا إليها ألا تستحي الجامعة وتأتي هي يومًا.

إذن إن دراسة التاريخ أودت بعقلي إلى بعيد فقد تطور الأمر أن أحلم بهرقل وما يدريني بمن أحلم غدا؟

إهداء هذه القصة إلى عبقري الأدب طه حسين. ريهام أحمد.

****

ملَكَ الموت

نظرت إلى أمي أخبرها أنني سأنهي كل شيء بعدها سأخلد للنوم. لكنها رفضت فقد لاحظت الحالة التي عليها من شحوب تام. لكني كعادتي جادلتها رافضة ما تقوله أنهيت كل شيء. دلفت بعدها أقبل رأس أمي وأسدل عليها الغطاء جيدا. توجهت لحجرتي تذكرت أنني لم أرتشف مياها كعادتي فارتشفت مياها عائدة إلي حجرتي. فقد كنت في شدة الإعياء ليس الجسدي فالمرض الجسدي لا يعجزني.

سئمت كل ألوان الحياة وبهجتها من حولي منذ فترة طويلة لا أعرف سببا لهذا. فدلفت لحجرتي حينها شعرت بحركة مريبة، وأنفاس تلتقط بها متسارعة تتأهب لشيء لكني لم أعرف ما هي وما مصدرها؟ تأملت الحجرة جيدًا ربما أحد إخوتي يمازحني أعرفهم حين يمرحون هذا النوع من المرح. لكني لم أجد أحدا منهم مع ذلك ظلت الأنفاس متعاقبة متسارعة.

جلست على فراشي أقرأ شيئا من القرآن الكريم. بعدها أغلقت المصباح لا أهوى الإضاءة المرتفعة عند النوم. لكن الأنفاس مازالت مصاحبة لي بل أكثر شدة واقترابا. ارتجفت في فراشي لا أحد حولي الجميع نيام. نهضت من فراشي بعد أن شعرت بملمس أحد على يد. أنظر حولي جيدًا كل شيء في وضعيته تمام كما أحبه بحجرتي.

الكتب في موضعها، ومصحفي، الأغطية يداعبها الهواء الطلق في حذر، ولكن كل شيء ينبئ بأن هناك أمرا سيقع. فاعتلتني انقباضة نفس من داخلي.

فجلست لم أستطع النوم بعدما أضأت المصباح من جديد. لكني لم أتمكن من البقاء جالسة كثيرة. فأشعر بأن هناك شيئا ما ينتظرني لكن ما هو لا أعرف مازالت الأنفاس تزداد من حولي تقترب حتى شعرت بها تحرك خصلات شعري فتسقطها على وجهي. أشعر أن هناك شيئا يجتاحني على موضع من الاقتراب والبعد في آن واحد. لكن ما هو هل هناك أشباح بالحجرة؟ لا لا أظن ذلك بل أنا لا أؤمن بهم لكن لكل منا عالمه كما أنني لا أدع فرصة للاقتراب من هذه العوالم أو منفذ يعبرون منه إليّ. . إذن من هذا الذي لا يطيق النور لا يشع إلا في الظلام. التقطت أنفاسي خائفة.

كررت محاولات الإضاءة عشر مرات لعلي في إحداها أرمق ظله بين تقاطع النور والظلام. دب اليأس في داخلي خاصة أنني كنت مريضة ملتهبة الروح لا أطيق شيئا. كل شيء لدي تساوى لا أرى شيئا مميزا.

أغلقت المصباح لا أحصي كم هذه المرة التي أغلقه لكني ما أعرفه أنها كانت المرة الأخيرة والأخيرة نهائيًا. وضعت جسدي مسجاة على فراشي الذي اعتراه صقيع غير عادي. فشعرت بفارق بين درجة حرارة جسدي والفراش كأنني كنت بداخل مثلج.

ارتخيت بجسدي اقتربت الأنفاس هذه المرة إلى حد أنها كانت تستنشق في وجهي لا أطيقها وهي قريبة مني كيف أطيقها وهي تستنشق في وجهي!!!

حاولت القيام لم أستطع أشعر بأن هناك قوة تمكنت من جسدي حين أسجيت به في فراشي مستلقية للنوم. كنت أشعر به في حجرتي لكن لم أكن أوقن أنه بكل هذه القوة. كدت أقاومه قبل أن أعلمه لكني حين فتحت فمي أستنشق أنفاسي خانقة منه فالتقطت أنفاسنا عرفته من هو؟

أسقطت يدي بجواري توقفت عن المحاولات معه فأنفاسه وقدرته كانت

أقوى من أن أحتمله أو بالأحرى أواجه. رغم أن قدمي حين حركتها تحركت لكن قوته فاقت حد توقعاتي البسيطة. تبدلت حالتي لا أعرف أي شيء ألقاه إلي داخلي من أنفاسه الملتهبة التي جعلتني أتحول من تلك الفتاة ملتهبة الروح إلي سعادة لم أتخيل أنني سأشهدها يومًا. ابتسم وجهي بأكمله حتى عيني الحزينة لشدة ما كنت سعيدة بما يحدث. ارتخى جسدي بأكمله لكن قدمي مازالت تتحرك هل إنه هو أم ليس هو ما تلك المداعبات؟ لمَ لم تخبروه أنني لا أحب هذا النوع من المداعبات، وأنصاف الحلول، ومسكنات الآلام، وقوانين الاحتمالات. أحب القطعية في كل شيء فليحدث أو لا يحدث. لما الجدل في حدوثه وظنون ليس لها أي قيمة تذكر.

بدأ الشروع في مهمته مكتسحا جسدي بالكامل من أصابع قدمي المرتفعة التي انثنت شعرت بها، وامتدادها الذي كان يجعلهما مستقيمان في توازٍ مع بعضهم البعض. ارتخاء عام مع سريانه في جميع أوصالي دون أدنى مقاومة تذكر مني له. بل كنت أنتظره لكني اعتدت أن أنتظر من يأتي متأخرا دائمًا. لا أعرف ما عشقي لهولاء المتأخرين.

تقدم من قدمي لأعلى شيئا فشيئا حتى استشعرت ثقل قوته في قلبي يسري إلي أعلى فأعلى فأعلى. . فنظرت بكلا الاتجاهين حتى مر من قلبي وصدري خارجًا من فمي شعر به يعلو بي فارتفعت شهقتي معه مخرجة أنفاسي.

بعدما أخذها مني نظر من خارجي يتأمل ذاك الهيكل العظمي الفارغ دون روحه كنت أقف بجواره أتأملني معه. حقًا بارع هو في عمله إلى حد جعلني أشعر به دون أن أدريه أو أدركه.

نظرت إليّ من خارجي وأنا ماثلة جثة محتضرة لكن مبتسمة. وضعت يدي على وجهي ويدي الأخرى يقبض عليها لكنه لا يتحكم فيّ أظنه لا يملك قدرة

التحكم فيّ بعد أن أنهى عمله بي. انحنيت عليّ أقبلني في رأسي كل يوم أفعلها مع أمي لم أفعلها يومًا مع نفسي لكن ها هي الفرصة سنحت أن أكون معها لمَ لا أكون بجواري وأنا لست بجواري.

فانهمرت دمعة من جانب عين جثماني فابتسمت أقول: إنني مازالت على قيد الحياة، لكن حين لامست هذه الدمعة الوحيدة المنهمرة. فأدركت حقيقتها أنها دمعة محتقنة في الحلق قبل الموت لا أكثر, فحين استسلمت الروح لبارئها أدركت كم هي حرة الآن كجثمان فارغ من روحه التي تحركه, أردت أن أقف أرى موقف الجميع من هذا لكن وقتي انتهى لا مزيد من الوقت الآن انصرفت وأنا أراني لعالم لا أدريه ولا أرى موضعي فيه فإنه مصير آخر بأقدار قدرت لنا في الحياة التي قد مضت ونحن فيها,

****

أحمد سمير

نقطة النهاية

استيقظت ولم اكن اعرف كم الساعة او حتي اليوم , فقط اسمي فارس
كان اليوم كاباقي الايام التي سبقته منذ شهرين ، كل ما كنت اقوم به اثناء تلك الفتره هو النوم و الاستيقاظ في اوقات مختلفة من اليوم وتناول بعض الطعام لابقائي حيا مع تناول الكثير و الكثير من المشروبات المهلكة (الشاي و القهوة و النيسكافية) كما اسميها , او كما كنت اسميها قبل ادماني لها .
خرجت من غرفتي باحثا عن قداحه لاشعال سيجارتي والتحلي بجرعه النيكوتين التي اعتدت قد عليها مؤخرا .
اتجهت الي المطبخ لاعداد القهوة ثم ذهبت لجلب الهاتف الذي قد وضعته علي الوضع الصامت منذ قرابة شهرين ، شهرين لا اتحدث مع احد ولا اجيب علي احد سوي (عم محمد) حارس العقار ليبتاع لي بعض الطعام و علب السجائر وما دون ذالك.
في طريقي للعودة الي المطبخ للحاق بالقهوة صادفت شخصا غريبا في بيتي ! . . . .
شخصا ذو لحية و شارب كثيفين و شعر متشابك و عينين حمرواتين و جسد نحيف يبدوا وكانه جسد بلا روح ، كان ينظر الي بعين فارغة ، يقف بسكون تام , لا يحرك ساكنا .
تسلل شعور من الخوف داخلي . . . من هذا . . . ؟
تمعنت في النظر حوله لاجد اطار المرآه .
اجل انه انعكاسي في المرآه .
استفقت من شرودي علي صوت القهوه وهي تخرج متحرره لتسقط علي الشعله فتطفئها .
اعددت فنجالا اخر و اصتحبطه مع صديقته المقربه (علبه السجائر)

و الهاتف في نزهة الي الشرفة حيث جلست علي الكرسي المتحرك و اسكنت الفنجال و الهاتف علي الطاوله الصغيره بجواري .
كان منزلي يقع ف الدور الثامن من اصل اثني عشر دورا يفصل الطريق بينه و بين البحر .
اشعلت احدي سجائري و الاخيرة في العلبة و امسكت بالهاتف لاجد رساله من صديقي المقرب (خالد)
- اي يعم هتفضل عازل نفسك كدا كتير لا انت اول ولا اخر واحد يحصل معاه كدا فوق كدا لنفسك و انسي الحصل و ارجع لحياتك باه لولا اني برا مصر مكنتش سيبتك توصل لكدا يلعن ابو الغربه و المسافات يعم :(
انسي الحصل . . . !!!
كانت هذه الجملة كفيلة باشعال الذكريات بداخل راسي
تركت الهاتف و استرخيت علي الكرسي و امال ثقل الذكريات راسي الي الخلف .
اغمضت عيني و كانني عدت باله زمنية الي الماضي .
الماضي حيث كنت انا ، ليس هذا الغريب الذي العيش في جسده الان .

****

كالعادة اصبحت حلقة الذكريات هذة ملازمة لي
تبدا بشبة ابتسامة حيث اجد نفسي في العام الاخير من الجامعة وبالتحديد في اللقاء الاول مع (ندي) .
تلك الفتاة المرحة و المحبة للحياة , متوسطة الجمال .
كانت دائما ما تبعث البهجة و الالوان في كل مكان .

تزول الابتسامة تدريجيا مع مرور عام في ذاكرتي , حيث تبدا رحلة (ندي) مع المواجة الاصعب في حياتها .
مواجهة المرض . . .
كنت اري هذة الشعلة المليئه بالامل و النشاط تنطفئ امامي يوما بعد يوم ولا ادري مذا افعل . .
تبا لهذا الشعور .
وبعد مرور ثلاث شهور اخري في ذاكرتي اجد الدموع قد بدات تتساقط من عيني مع تذكر اتصال صديقتها و هي تقول ان الشعلة قد انطفئت .
-ندي ماتت يا فارس .
ها هي الرحلة تنتهي و اعود مرة اخري الي الحاضر لاجد القهوة اصبحت باردة مثل ايام الشتاء هذة .
ها انا اذهب للنوم مرة اخري منتظرا تكرار الرحلة حين استيقظ .

****

بعد مرور قرابة الشهر كان حفل زفاف صديقي المقرب (خالد) سببا كافيا لاخراجي من تلك العزلة ,
كان (خالد) قد عاد الي مصر من قرابة الثلاث ايام وكان مشغولا بالتنسيق لحفل الزفاف مما منعة من زيارتي و اجباري علي النزول كما كان يكتب في رسائلة

****

يوم الزفاف

ماذا ارتدي ؟
متي اذهب ؟
ايجب ان اكون مع خالد من بداية اليوم ام اذهب الي الزفاف في المساء ؟
اتجهت الي الحمام و بدات في التخلص من هذا الشعر المتناثر علي وجهي , و بعد الاستحمام خرجت و نظرت في المرءاة لاجد بعض مني قد عاد الي , اخرجت بذلة سوداء و ارتديتها و امسكت بزجاجة العطر لاجدها فارغة , سارعت بالتصال ب (عم محمد) لجلب زجاجة جديدة و اخراج السيارة من الجراج و تجهيزها .
صمت من قبل (عم محمد) لبضع ثوان ثم قال :
-بجد يباشا انتا هتنزل ؟؟؟؟
- لحد دلوقتي اه , عقبال ما تجيب الحاجة و تيجي معرفش هيكون القرار اي .
- يباشا ثواني و الحاجة تكون عندك .
ها انا الامس الشارع من جديد ,
اتجهت الي مكان الحفل و عند دخولي لم التفت لاحد , فقط ذهبت لتهنئة (خالد) الذي بدوره قام و احتضنني بقوة .
ذهبت لاجد مقعد فارغ كما هو حالي .
ساعتنان في الحفل بجسدي فقط .
ساعتان بجسد فارغ لا يشعر بشئ .

كم انتمني ان اينتهي هذا الحفل اللعين .
و في لحظة استيقظ عقلي بعد ان استنشقت رائحة مرت بجواري , وكان حواسي و اعضائي عادت اليها الكهرباء المنقطعة منذ اكثر من شهرين .
ظللت احاول ان اري وجه صاحبة هذة الرائحة حتي لاحظ خالد تنقلي بين المقاعد لاكون امامها , و نظرتي المطولة لها .
بشرتها البيضاء مع فستانها الاسود و طولها المتوسط مع جسدها الجزاب جعلها تبدوا كتنها ملكة كان فقط ينقصها عربة سيندريلا
تتمايل برئسها مع انغام الموسيقي و اتمايل انا بتمايلها .
ما هذا الاحساس ؟
اي يعم هتفضل قاعد كدا ؟؟؟
كانت جملة (خالد) هذة كفيلة لايقاظي , فاجبت : لا يعم هقوم اهو .
اتبعت خالد لدائرة الرقص ووقفت اصفق ,ادرت راسي ناحية (سيندريلا) لاجد المقعد خالي ؟؟؟؟؟
توقت عن النصفيق وكان خلو المقعد قد اعاد الخلو داخلي
١٠٠ سؤال في راسي
هل رحلت ؟ كيف ساجدها مرة اخري ؟هل كانت متواجدة من الاساس ؟ ام كانت مجرد سراب ؟
ذهبت لاشعل سيجارة في الخارج لاجدها تتحدث في الهاتف .
لا استطيع وصف شعوري اناذاك الي االني كنت اشبة الطفل اللذي ضل الطريق وظل يبكي ثم وجد امه فالمعت عيناة و استمر في البكاء ولكن بشعور مختلف , شعور الامل .
كانت تقف هناك في حيرة تنظر يمينا و يسارا علي الطريق وكانها تبحث

عن شيء ما .
ماذا افعل ؟
اتخذت القرار و ذهبت اليها
-هو انتي بتدوري علي حاجه ؟
-تاكسي , بشوف تاكسي
-المكان هنا بعيد و التكسيات قليلة انا ممكن اوصلك
-لو مش هتعبك معايه بس والدتي تعبانه ولازم اكون ف البيت حالا
-لا مفيش تعب ثواني هجيب العربية
اختلست النظر اليها من خلال المرءاة لاجدها خائفة عيناها ممتلئة بالدموع تكاد تبكي ولكنها تقاوم .
ما ان وصلنا الي عنوان منزلها حتي شكرتني و سارعت بالنزول قبل ان اوقفها بطلب رقم هاتفها للاطمئنان علي والدتها
اعطتني اياه و ذهبت لتترك بداخلي مجموعة متضاربة من المشاعر ما بين قلق عليها و سعادة برؤيتها و خوف . . .
خوف من ما هو قادم .

****

اتجهت الي المنزل و وضعت راسي علي الوسادة دون ان اخلع ملابسي ولا ادري ماذا سافعل بعد ذالك
هل اتصل بها اليوم ام تاخر الوقت ؟
هل ابعث برسالة ؟
هل . . . . . ؟

استيقظت لاجد نفسي في اليوم التالي دون ان اشعر .
جلبت الهاتف و اتصلت بها لتجيب بصوت ملاثكي وكان كل تفاصيلها تسعي لابهاري
-الو
-صباح الخير
-صباح النور. . مين ؟
-فارس . . انا فارس الي وصلتك امبارح , اخبار مامتك اي ؟
-اااه الحمدللة كويسة , شكرا علي سؤالك و انك وصلتني , معلش تعبتك معاية
-مفيش تعب ولا حاجة
انهينا المكالمة بروتينية تامة , حتي االني لم اسالها عن اسمها , فقط اكتفيت بانها (سندريلا)
ثم قمت بتغير ملابسي و اتجهت لزيارة المقهي المفضل لي و الذي يطل علي البحر مباشرة .
جلست وقمت بطلب بعض القهوة .

ها هو هذا الشعور يراودني من جديد .
شعوري بان رحي تتحرر من جسدي وتذهب لمكان اخر , ولكن هذة المرة لم يكن هذا المكان هو الماضي البعيد , بل كان لماضي القريب جدا , كان للامس , بالتحديد (سندريلا) .
وكانني اري انغام الموسيقي تتطاير امامي في السماء و روحي تتسلل لتتراقص مع هذة الانغام , شعاع الشمس الذهبي , رائحة القهوة .

لوحة فنية متكاملة كان فقط ينقصها وجود (سندريلا) .
ولم لا .
ها انا اقف اسفل منزلها حاملا باقة من الزهور

****

في كل مرة نظن أن الحياة قد توقفت عند هذة النقطة نجد بعد فترة من الزمن أن الحياة استمرت و سارت دون توقف
ربما نقطة النهاية الحقيقية هي التي وصلت اليها (ندي) اما ما دون ذالك فهو مجرد شعور مؤقت

بالفعل لم و لن انسي الماضي , ستظل (ندي) لها مكان بداخلي , ستظل الشعلة المضيئة ,

تمت

شكر خاص : ياسمين , عماد , هاجر

تواصل معنا :

01011464037

E-mail -:Sonon. Pub@Gmail .com

جميع حقوق النشر محفوظه لدار سنون للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائله القانونيه